JAMAL ALHALLAQ

تأملات

تأجيل اللذّة

تأملات في الأدب والفن والحياة

جمال علي الحلاّق



تأجيل اللّذة

تأملات في الأدب والفن والحياة

" نشرت في صحيفة بانوراما في سيدني للفترة ما بين 2010 - 2012 "



المؤلف:جمال علي الحلاق

Jamal Alhallaq

الكتاب:تأجيل اللذة/ تأملات في الأدب والفن والحياة

Postponement of pleasure/ *Reflections in literature, art and life*

الناشر:دار مقهى للطباعة والنشر

Maqha House for printing and publishing

الطبعة:الأولى، 2012

Edition: First edition 2012

تصميم الكتاب: مقهى

Book design by: Maqha

الغلاف:فوتوغراف للمصورين الامريكيين روبرت

وشانا بارك هيرسون

Photographers Robert and
Shana Parke Harrison

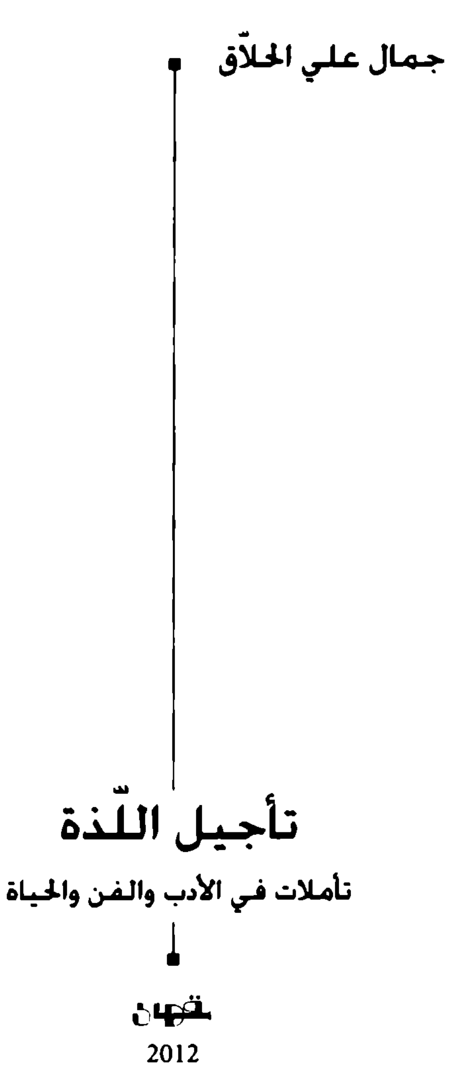
المركز الرئيسي:

Head office: USA / California

الولايات المتحدة الامريكية/ كاليفورنيا

277 E. Lexington Ave Suite# A
El-Cajon, CA 92020 / USA
Tel-Fax:(619) 749 -9707 / Mobaile:(619) 277 -5119
Email: maqha4you@yahoo.com





جمال علي الحلّاق

تأجيل اللّذة

تأملات في الأدب والفن والحياة

2012




مكتبة
الفكر الجديد

الكلمات الأخيرة



أليست جُرأةً أن تُجري حواراً مع شخص يستلقي على سرير الموت. على الحدّ الفاصل بين البقاء والزوال . حواراً يشَبه بحثاً في المعنى . أو نبشاً في الجدوى ؟

أليست قدرةً هائلةً تلك التي تستفزّ - بسؤالٍ واحدٍ - الذاكرة كلّها على البوح. سؤالٌ كأنّه إنفجار أصابع ديناميت فيِ جسدٍ صلد . وبوحٌ كأنّه الإنهيار الأخير . الإنهيار المشاكس . كخلاصةٍ مدبّبةٍ لتجربةٍ وجوديّةٍ توشك أن تُنهي رحلتها في العالم .

في الوقت الحرج . عندما تتحوّل السرعة الى ثقبٍ أسود يلتهم الأشياء بشراهة . في الأيام الأخيرة . أو اليوم الأخير . أو السّاعة الأخيرة . قبل أن يغلق الوعي أبوابه. وقبل أن تغلق الذاكرة مساماتها . فتضيع التجربة . ويضيع العلم .



أحدٌ ما يمتلك علماً بتاريخ يوشك أن ينقرض . يمتلك إلماماً بنصٍّ غير معروف . حادثة هو الشاهد الوحيد لها . أو الوحيد المتبقّي من الشهود . جوانب وزوايا كثيرة . توشك أن تضيع . إلا أنّ أحداً مسكوناً برغبة التوثيق . مسكوناً بفضول المعرفة . الفضول الإيجابي . الفضول الفاعل . هذا الأحد الفضولي . يُلقي دَلْوَهُ في بئر الذاكرة قبل إنطماسها . وقبل إنغلاقها . لعلّه الدلو الأخير . ربّما بحثاً عن الكلمة التي تردّد الشاهد على قولها حيّاً. ذاك أنّ الوقوف على الحدّ الفاصل بين الحياة والموت . ليس حياةً . وليس موتاً أيضا .

أحدٌ ما يحاول سرقة الكنز المسكوت عنه قبل أن يبتلعه النسيان .

في الثقافة اليابانية . عندما يصل شاعر ما الى لحظة الإحتضار . يطالبونه بقول جملة شعرية أخيرة . يسمّونها (نصّ الموت) . أمّا في الثقافة الإسلامية. فالأمر على النقيض تماماً . هكذا . يُحاصَرُ المحتضر من قبل المحيطين به . والكلّ يطالبه بترديد (التشهّد) . أي بترديد ما يعرفون وليس ما يعرف . ومع هذا فقد أصرّ شاعرٌ عربي - هو (الحطيئة) - على ترديد وإثبات ما يعرف وليس ما يعرفون. عندما قال في لحظته الأخيرة : « الله يقول وأنا أقول « .

ولعلّ الجملة الأشهر في الثقافة العربية الإسلامية . هي جملة (علي بن أبي طالب) حين قال : « سلوني قبل أن تفقدوني « . لقد أراد أن يقول ما يعرف . لكنّهم ما انتبهوا الى ذلك . بل قيل أنّ أحدهم تمادى فسأله عن عدد شعرات اللّحية . وقيمة السؤال من قيمة السائل .

الذي أثار عندي هذا الموضوع هو قراءتي لكتاب (فحولة الشعراء) . وهو عبارة عن إحدى عشرة صفحة ليس إلا . والكتاب في حقيقته حوار أجراه مع الأصمعي تلميذه أبو حاتم السجستاني . عندما كان على سرير الموت. حدث ذلك سنة
(٢١٥ هـ) . أي قبل ألفٍ ومئتي عام .



قال السجستاني في الصفحة الاولى : « وسألته آخر ما سألته قبل موته: مَنْ أوّل الفحول ؟ قال : النابغة الذبياني . ثمّ قال : ما أرى في الدنيا لأحدٍ مثل قول امرئ القيس :

وقاهم جَدُّهُم ببني أبيهم
وبالأشقين ما كان العقاب

قال أبو حاتم : فلمّا رآني أكتب كلامه فكّر . ثمّ قال : بل أوّلهم كلّهم في الجودة إمرؤ القيس له الحظوة والسبق . وكلّهم أخذوا من قوله . واتّبعوا مذهبه « .

من هو المحظوظ هنا . التلميذ . أم المعلّم . أم التاريخ ؟

حِرصُ التلميذ على معرفة الرأي وتدوينه . ورغبة المعلّم بالبوح الأخير . كلاهما ساهما في الحفاظ على ما تبقّى . لقد كان التاريخ محظوظاً بحرص التلميذ ورغبة المعلّم .

لا توجد في الكتاب إشارة الى أنّ السجستاني كان يفكّر بطرح كلّ الأسئلة التي انفتحت مثل شهوة عارمة على المعرفة . أحدهم يريد أن يسرق من الوقت في جلسةٍ واحدةٍ تجربةً تراكمت عبر أكثر من سبعين عاماً .

ولم يدر في ذهن الأصمعي أن يترك لنا كتاباً عن فحولة الشعراء . إلا أنّ سؤالا خرج من التلميذ . وإجابةً حفّزت التلميذ على تدوينها . جعلت شهوة البوح مثل بركان ضاقت به الأرض . في إحدي عشرة صفحة يعطي الأصمعي رأيه في مائةٍ وخمسةٍ وعشرين شاعراً . وعددٍ غير قليلٍ من القبائل والمناطق .

رجلٌ على سرير الموت . وجد من يسأله السؤال الذي حطّم حاجز السكوت والنسيان .

الحوار كأنّه سباقٌ مع الوقت . الشعراء مطرٌ في ذهن المعلّم والتلميذ معاً . تنافس على القول والتدوين . كما لو أنّ التاريخ يتعلّق بالذاكرة . والأصمعي على حافّة الإنزلاق . كما لو أنّ الشفاهيّة تتوسّل البقاء في اللحظة الأخيرة . كان (الأصمعي / الذاكرة) يحاول بثّ المسكوت عنه هنا وهناك. وكان السجستاني / التلميذ اللاقطة .



الحوار متنٌ مكثّف وعميق . نصٌّ كامل الدسم . فيه إشاراتٌ تصلح أن تكون مفاتيح لمغالق عصيّة على الإنفتاح . ففي إشارة سريعة ذكر الأصمعي بأنّ زهير بن أبي سلمى إلتقى بيهود . وتعرّف منهم على يوم القيامة . وفي إشارة أخرى قال أنّ أميّة بن أبي الصلت جاء بشعره على ذكر الآخرة . أي أنّ الأصمعي إعتبر أميّة شاعر الآخرة . بينما إعتبر لبيد بن ربيعة – أحد أصحاب المعلّقات - رجلاً صالحاً أكثر ممّا هو شاعر .

قال التلميذ : « وسألته عن خداش بن زهير العامري . قال : هو فحل . قلت: فكعب بن زهير بن أبي سلمى ؟ قال : ليس بفحل . قلت : فزيد الخيل الطائي ؟ قال : من الفرسان . قلت : فسليك بن السلكة ؟ قال : ليس من الفحول . ولا من الفرسان . ولكنّه كان من الذين يغزون على أرجلهم فيختلسون . قال : ومثله إبن براقة الهمداني . ومثله حاجز الثمالي من السرويين . وتأبط شرّاً واسمه ثابت بن جابر . والشَنْفَرَى الأزدي السروي . وليس المُنْتَشِر منهم . ولكنّ الأعلم الهذلي منهم . قال : وبالحجاز منهم وبالسراة أكثر من ثلاثين . يعني الذين يعدون على أرجلهم ويختلسون » .

التلميذ يسأل عن الشعر . بينما ذاكرة المعلّم تُمطر إجاباتٍ على حقولٍ أخرى . الإجابات تلامس الأسرار . لكنّها أيضاً . تقرأ الأسرار من زاوية الشعر.

أتساءل هنا : ماذا كنّا سنحصل لو أنّ علي بن أبي طالب وجد تلميذاً كالسجستاني . تلميذاً - بسؤاله - يفتضّ الخطوط الحمراء للحنيفية والإسلام معاً ؟
لم يكن هناك بين السامعين من يمتلك موهبة السؤال . وذهب الخليفة الرابع مع الأسرار . بينما كان الأصمعي محظوظاً جداً لأنّه قال كلماته الأخيرة كلّها .



تأجيل اللّذة



تحدّث رولان بارت عن (لذّة النصّ) من زاوية القارئ . وأنا هنا أتحدّث عن لذّة كتابة النصّ متّكئاً على تجربتي الخاصّة في - ومع -الكتابة في حقل التاريخ .
أتحدّث عن عملية إنتاج النصّ الخام وليس القراءة . وتحديداً . عن موضوعةٍ تلتصق بالكتابة . وتؤسّس لها . أقصد المساحة الزمنيّة التي يستغرقها الشكّ في الوصول . وتستغرقها التحضيرات للشروع بالكتابة ذاتها . وهي ما أطلق عليه هنا إصطلاح (تأجيل اللذّة) .

أتحدّث عن إحساسٍ مضطربٍ خاصٍّ جداً . خليط من قلقٍ ومتعةٍ . رهبةٍ وجرأة . لا يصل إليهما إلا من يعيش لحظة امتلاك رؤيا مختلفة للتاريخ. تخصّه تحديداً . تعمل على دحض المقدّس . وهو في طور التفكير في الإعلان عنها .



قراءة التاريخ تأخذ مقلوب آليّة التنبّؤات . يسيطر عليّ إحساسٌ بأنني ونوستر أداموس نجلس على ضفتين متقابلتين . وكلانا يشير الى إنهيارات هنا وهناك . هو يشير الى المستقبل . وأنا أشير الى إنهيارات تحصل في الماضي (هل فات أوان الماضي حقاً ؟) .

الغبار المتصاعد يؤسّس لبناياتٍ أخرى . التاريخ لا ينهار بأكمله . ولا يختفي أيضاً دفعةً واحدةً . لأنّ اختفاء عائلة أو حركة ما يعني ظهور عوائل وحركات أخرى كانت في طور الكمون أو الكتمان . إنسحاب الضوء عن حدثٍ ما سيقود في النهاية الى إضاءات هنا وهناك تجعل حركة التاريخ تأخذ طُرُقاً أخرى .
يبقى التاريخ حبّاً وولوداً .
الكتابة تعني أنّ شوطاً طويلاً من الإستمتاع الذاتي قد إنتهى . وأنّ رغبةً جارفةً تقودني من ياقتي . إنّها لذّةُ الإنقياد تحت سحر الإستمتاع . الكاتب إيثاري جداً . لأنّه يحاول - باستسلامه للذّة - تعميم الإستمتاع .

هكذا . كلانا يغوي الآخر . أنا والتاريخ . بل كأنّ التاريخ جسدٌ في شرنقة . يحلم أن يكون فراشةً . وأنا أتهيّأ لأكون فضاءً .

الكتابة ممارسة جنسية لا تكتمل إلا بالإستغراق بالمراودة والتأمّل والشطح. البحث في الطيّات الدقيقة . إنحناءات التاريخ أو إستداراته المباغتة . الإغراءات التي تفتح الأفق . تلمّس الرموز والشفرات بيد أعمى . التلذّذ بعصير الكلمة ومقلوبها . الكلمة ودلالتها . مطاردة الأسماء وانقطاع الصلة . الغوص في التعتيم الذي يغلّف الأحداث . في اتّفاق الخرس الذي تصاب به أمّهات كتب التاريخ عندما تقترب من منطقة محرّمة . الغوص في النطق وفي الصمت . ومحاولة التمييز - بعينٍ تتشهّى - بين الصمت والسكوت . بين الإرادة والقمع .
الكتابة ليست إغتصاباً . ولا يقع الكاتبُ فيها وقوعَ البهيمةِ على الورقةِ البيضاء . البياض يغوي . لكنّه أيضاً . يتطلّب شهوةً تتقن الدخول كلصٍّ



بجعل البياض ذاته يرفع راية الإستسلام .
ومع هذا فالكتابة أيضاً إنزلاقٌ هائل . إعلان بالتعرّي التام . أمام شمسِ أشعّتُها تجعل الجسدَ شفافاً .

الكتابة امرأة تعلّق رغبتها على النافذة .
الكتابة تجعل القارئ متطفّلاً وحالماً أنانيّاً جداً .

تأجيل اللذّة يشبه تماماً تأمّل أحجار البيت . عتمة الأركان والزوايا . الفاصل بين واجهة البيت وحديقته الخلفية . الأعمدة المنتصبة أو المنغرزة بعنف في الأرض . تأمّل كلّ ذلك قبل أن يصير البيت ماسةً لامعةً تحت أشعّةٍ لا نهائيّة .



مقالتي هذه إجراءٌ من إجراءات التحضير . جذاذةٌ أولى . أو شرارةٌ أولى .
وعليه فهي تندرج في الإصطلاح . هذا يعني أنّ بعض الكتابة تأخذ على
عاتقها دور التأجيل أيضاً . إنّها أشبه بدوران الراغب حول رغبته . يحاول
إمتلاك الرؤيا كاملة قبل الشروع بالقفز بمظلّة .

تأجيل اللذة . هو الإستلقاء وحيداً على ظهر سلحفاة لم تظهر على
سطح الماء. ولم تعرفها الخرائط بعد .
الإقامة داخل عالم غير مرئي . يتشكّل . لكنّه موجود قبل التشكّل . ليس
جنيناً. بل كائناً مكْتملاً . لكنّه محجوب بثقافة موروثة . أو بحياة موروثة .
تأجيل اللذّة . أن تعيش في العالم . خارجاً عنه . وعليه . قبل أن تعلن عن
ذاتك .

العالم ممتلئٌ بإشارات مشفّرة بطرقٍ غامضةٍ تشير الى رؤى مختلفة.
وقلّةٌ جداً. بل يندرون كثيراً . أولئكٍ الذين تغويهم الإشارات الغامضة.
وتستدرجهم. فيتّبعون غموضها الى أقاصيه . الرائي هنا يُشبه صائد
البرق الذي تحدّث عنه سان جون بيرس .

فكرة الكتابة قائمة ومخيفة أيضا . لعلّ الخوف جزء من اللذّة . لكن . ولأجل
الحصول على لذّة كاملة الدسم . أحاول أن أملأ جناحيّ ريشاً تستدرجه
الغواية الى فكّ طلاسمها .
أحاول أن أجعل عينيّ تتشبّعان بزوايا النظر الحادّة . بالخفيّ من الظاهر .
وبالظاهر من الخفيّ . وأن أقرأ الخبر الواحد بمنطادٍ من فوق . أو بغوّاصةٍ من
تحت . وأن أقرأه من أمام ومن وراء . دون حجاب . لأنّ الحقيقة دائما " لها
محبّان لوطيٌّ وزنّاءُ " على حدّ تجربة أبي نواس .

أقرأ التاريخ بعدساتٍ لامّةٍ . تعمل على تكثيف الخبر الغامض . تجعله
غموضاً مضيئاً .
عدسات تنفخ الحركة في الجسد الساكن . تنشر الميت من قبره . الرائي



يعيش القيامة بشكلٍ مستمر .
أقف خارج الإنتماء للضوء أو للظلّ . أتحرّر إلا من معاولي ومن حفرياتي .
أتحرّر إلا من رغبتي على قطع مسافاتٍ طويلةٍ من ظلامٍ يتراكم (هل أتحدّث هنا عن تشابه مع تجربة كلكامش ؟) .
كلّ هذه مسوّدات للكتابة القادمة . كلّ إشارة أو معلومة هي مراودة للحقيقة عن نفسها . هي ريشة للجناح القادم . فالطائر لا يطير إلا إذا سمع صوت الآفاق يدعوه بعمق . فعندها . وعندها فقط . يكون الريش هو المظلّة التي بها يقفز قفزته الهائلة .

الكتابة تقف بمستوى الإنوجاد . والإنوجاد هنا يعني خروج الرؤيا من الفرد الى المجتمع . ودخولها كعنصرٍ مساهمٍ في حركة التاريخ .

الوجود يتطلّب شحنة هائلة من الشهوة على الإنوجاد . رغبةً وجرأةً لا تعرفان التأطير . لا تقيمان إعتباراً للحرام أو للتابو . ولا توقفهما إشارة ممنوع العبور هنا. أو الطريق غير نافذٍ هناك . على العكس تماماً . فإشارات المنع والتحريم تُعطي الوجود طاقةً هائلةً على القفز والتجاوز .
وتأجيلُ اللذّة تخليقٌ متواصلٌ في الفضاءات المحرّمة للنظام المعرفي الذي يحكم الموجود البشري . هكذا . " الكلّ يراك ولا أحد يعرف مسيرتك " على حدّ تجربة إخناتون . صراخٌ بأعلى أوتار الحنجرة . ربّما كان أنيناً مكتوماً. لكنّه أنينٌ يمتلك القدرة على صمّ الآذان . لذا فالكتابة تتطلّب كمّاً زاخراً ونافراً من المعلومات والإشارات التي تؤسّس الموجة .
الإنوجاد إعلان حادٌ لرغبة الإيهام ليس على الرؤيا فقط . بل على ترك بصمته على جسد التاريخ . بل لعلّ التاريخ يتحوّل الى جسدٍ من طين طَيّعٍ بين الأصابع والكلمات .

كما لو أنّ دواراً يلفّ رأسي . ويلفّني . أوشك أن أقع في حفرةٍ بلا جذر . هزّات أرضيّة تزلزل الجسد والعقل . أسمع دويّ بناياتٍ تنهار . وأرى طُرُقاً معبّدةً تتشقّق . فجأة. البناية إشارة بدون معنى . والطريق لا يقود .



الإنتماء للخصوصيّة

الى زهرة عقراوي وهي تفتح نافذة المجهول ...



كلّما اقتربتُ من الموتِ إتّسعتُ قدرتي على الغفران .

الإقتراب من النهاية يجعلنا نخرج على الدوائر والأفخاخ التي حاصرتنا . أو التي حصرنا أنفسنا بأنفسنا فيها .
المعرفة فخّ ننصبه ونقع فيه .
أنا أتحدّث عن تجربتي الخاصّة . لأنّني أعرف أيضاً . أنّ هناك من يزدادون ضيقاً كلّما اقتربوا من النهاية .
البعض يعلق بالفخّ كما لو أنّه يعلق بمعطف النجاة .

كلّ تجربةٍ حادّةٍ تجعلنا نسمو على معرفتنا . تجعلنا نُشرف عليها . نراقب نقاط ضعفها من فوق . ننتبه لمفاصلها الرخوة . وبالتأكيد فإنّ للتجارب الحقيقية الأثر العميق في جعلنا نتفهّم وضعنا البشري . أو حتى كيف نتعامل معه . وضعي كإنسان بين الآخرين . أو كإنسان في العالم .



التجارب الحادّة تأخذنا قسراً الى التساؤل . هكذا . فجأةً العالمُ بحاجةٍ الى تأويلٍ أكثر سعةً من كلّ ما نعرف . كلّ الإجابات ضيّقة . وكلّ الطرق لا تقود. لا شمس في النافذة . ولا هواء . ظلامٌ ينفتح كفمِ بئرٍ . ونحن نركض في عماءٍ مستديم .

ماذا أريد أن أقول هنا ؟ ثمّة إحساس لا يُدرك بالتلقين . كالإيمان تماماً . إحساس يحتاج الى تجريب . وليس الى كلماتٍ يمكن قراءتها أو ترديدها فقط .

الكتابة قد تشير . لكنّها . لا تمتلك ثقل التجربة ذاتها .

الكتابة بألم تفتح نافذةً للألم . لكنّه . يبقى ليس كالألم . بل أقرب الى الصدى منه الى الصوت .

الكتابة صدى . ونحن نحاول إسقاط هذا الصدى على تجربتنا الخاصّة . من هنا نتألّم عند القراءة .

القراءة تفتح جروحاً ودمامل نائمة . بل إنّها في أحيانٍ كثيرة تُشبه المشي في حقل ألغام . كلّ خطوة هي إنفجار وتشظّي .

إذن . الكتابة تكون بموازاة الحدث عندما يكون القارئ أرضاً ملغّمة .

الكتابة تتطلّب قارئاً يقيم على الحافّة . قارئاً يوشك أن يقع في بئر السؤال.

لكلّ تجربة خصوصيّتها . ومن هنا فإنّ تجربة الموت تظلّ أكثر التجارب خصوصيّةً . فلا يشبه موتٌ موتاً . ونظلّ مع كلّ تجربة موت نتحرّك وكأنّنا أطفالٌ يحاولون تعلّم الأبجدية من جديد . تماماً . كأنّنا في مرحلة الصوت قبل أن يكون حرفاً . أو في مرحلة الأحرف قبل أن تصير كلماتٍ .

الموت يفتح نافذةً أخرى على المجهول . يجعلنا ننتبه جيّداً لهذا الحلم الثقيل / الحياة . حدث يكسر رتابة الحلم . يُخرجنا من وهم الصحو الى ضفةٍ رخوةٍ توشك أن يجرفها ماء الإنتباه .

الموت يجعل معرفتنا تتقزّم . ويجعلنا أقصر من ظلّنا .

وكم غريبٌ هو الإنسان . لا ترتبط به سوى ساعاتٍ قليلةٍ . ساعاتٌ أشبه ما



تكون بأفرادٍ يمتّون بصلةٍ عميقةٍ لبعضهم البعض . لكنّهم يعيشون في أماكن ومراحل متباعدة .
ساعاتٌ قليلة . دقائق على الهاتف . لقاءٌ عابر . ساعةٌ هنا . حوارٌ هناك . ثمّ أيضاً. وأيضاً مرّةً أخرى . هذا كلّ ما في الأمر . غير أنّ هذا النزرِ اليسير من الحوارات . أو هذا النزر اليسير من اللقاءات العابرة . هو أكثر ثقلاً من علاقاتٍ إجتماعيّةٍ تسرق حياتَنا من حياتِنا بشكلٍ يومي .

شخصٌ ما . ننتمي له بحوار . بكلمة تعلق في الذهن . بدفء . أكثر ممّا ننتمي لوطنٍ . أو قوميّةٍ . أو دين .

خيطٌ رفيع . لكنّه من ضوء . يجعل حياتنا أكثر ثقلاً . يجعل رصيدنا الحياتي أكبر وأعمق . هكذا . نتمدّد بعلاقة إجتماعية واحدة . ونتقلّص بأخريات . وما أكثر العلاقات الإجتماعية التي نتقلّص بها . حدّ التلاشي !

وفي النهاية . فنحن ننتمي للحوار الذي يساهم في بناء رؤيتنا لأنفسنا وللعالم. ننتمي للحوار الذي يمتلك قدرة أن يكون جزءاً منّا . من تأريخنا الشخصي . هكذا ننتمي للحوار الذي هو نحن أيضا .

ثمّة حبالٍ سرّيّةٍ تمتدّ هنا وهناك . تربطنا بالتفاصيل التي تخلق هويّتنا . ولا بأس بكثرة الحبال السرّيّة . كما لا بأس أيضا بقلّتها . لأنّنا في النهاية ننتمي للأشباه الذين يمتلكون نفس الرغبة ونفس الميل . ويمتلكون نفس الهاجس .
في النهاية . نحن ننتمي لخصوصيّتنا .



إنتشال اللغة من حضيضها

جلسة مع غيلان ...



أحسّ بخيطٍ شفافٍ يكاد أن يكون خيطاً ضوئياً كلّما جلست الى شاعرٍ مُنْهَمٍّ بانتمائه للشعر وحده . إحساس بالخروج على التاريخ. على اللحظة الراهنة . والإنتماء لآخرين ليسوا بيننا الآن . أو لم يصلوا بعد.

الشاعر رحّال كبير . يتجوّل بين قطب الكون وأطرافه القصيّة . يُقيم في المكان وخارجه . هو بين الآخرين وبعيدٌ عنهم . الجملة التي يقولها تعنيه وحده . لأنها تخصّه وحده . كأنّه يحدّث نفسه . ومع هذا فهو يحاول القول . بل يُكثر القول أحيانا . لكنّه في النهاية قول خارج اللغة . وفي أحيان كثيرة هو قول ينتشل اللغة من حضيضها .

وليس من السهولة الجلوس مع شاعر . بل ليس من السهولة التحدّث اليه . وأنا هنا أتحدّث عن كائنٍ متخوم بالرؤى . وتسري في أنفاسه أنفاس الكثيرين من الأشباه . خارج القومياتٍ . وخارج الاديان . الشاعر مثل نسر على القمّة ويهزأ بالسفوح . بل إنّ القمّة لتضيق أحياناً كثيرةً على النسر. الجلوس الى شاعر . يشبه تماما الجلوس في حديقة خلفية للمعرفة



البشرية. سواء أكانت معرفة جمالية ذهنية أو حسيّة . الشاعر يقيم في المجاز . ولا حقيقة على الاطلاق . على العكس تماما . الحياة باطن لتأويل لا ينتهي .

سيقفز شاعر بين لحظة وأخرى . المُنْهَمُّ بالشعر لا يتحدّث عن الطارئين . الشعر ليس كالحياة . لا يحتمل الطفيليين . ينحرف بنفسه بعيداً . هكذا. يجلس خارج البهرجة . لكنّه . لا يملّ من ترقّب الكشف . ولا يملّ إصيطاد الممكن المحشور بين تروس الواقع .

الجلسة تشبه حقل الغام . الحوار تقدّم كرنفالي في انفجارات لا تتوقّف في الإعلان عن نفسها . هكذا . يقفز الحطيئة مثل لغم . أو هوميروس . أو كاتب كلكامش . رامبو . النوّاب . جان دمو . يقفز أخرون . وظلال كثيرة تنبع تحت ظلال أخرى . تنمو لعبة الفحول . الصفة التي تمنح الخصوصية . أسماء كثيرة لقفزات هنا وهناك في الوقت وفي المكان .

ربّما كنا أكثر حظاً منهم حين عرفناهم جميعا . لأنّهم مرّوا بنا . البعض أقام طويلا . والبعض خطف كبرق . لكنّهم في النهاية تركوا جملهم التي انتشلت اللغات .

اللغة العقل . والشاعر ينتشل العقل مع كلّ حوار .

الحديث الى شاعر. يفتح شهوة اللغة ثانية على الإنوجاد . الكلمات تتقافز خارج دلالاتها . الكلمات إشارات تأخذ إتّجاهاتها من زوايا الحديث . ولا تقف. لأنّها تكره المكان . تكره الإقامة . لذا تراها تتبع عين الشاعر . تتبع حيرته أيضا . الكلمات سرعان ما تفقد دلالاتها وتتيه . الكلمات أفاعٍ تضيق عليها جلودها مع كلّ حوار.

هذه التداعيات لم تأتِ اعتباطاً . وقد تبدو طوباوية للحشد . ومع هذا فإنّها تجربة حياتية تتكرّر في الخيط الشفّاف . الخيط الضوئي . الذي لا يراه ولا يدركه الا المنهمّون . الذين يتنفّسون الممكن .

الشاعر بحاجة الى شاعر . بحاجة الى من يُعطي أو يستلم . لقد تجوّل باشو في أكثر أراضي اليابان لِيَسْمَعَ أو لِيُسْمِعِ . لقد دخل في حياة الكثيرين . بل أنّ الكثيرين من شعراء اليابان في حقبة باشو يُذكَرُون من



خلاله . كما لو أنّ وظيفة الشاعر الحقيقية تكمن في انتشال الشعراء الآخرين من النسيان .



في الحياة . وحولها



عندما مات ماركس . وقف أنجلز للتأبين وقال : « الآن فقط . توقّف هذا الرأس عن التفكير « . ويقال أنّ ابن عباس شاهد عملية دفن زيد بن ثابت فقال : « من أراد أن يعرف كيف ذهاب العلم فلينظر الى دفن زيد « .

تثيرني دائما قضية الصمت عن المعرفة . والذهاب قبل الإفصاح . قبل الكلام . قبل البوح . أحدهم يُجهِد نفسه لقول كلّ شيء . وآخر يتوانى . وآخر لا يحرّك ساكناً . ويمضي الوقت . ويذهب الناس تباعاً . فيذهب العلم مع الصامتين . وتذهب الحقيقة . إلا ما تمّ تهريبه عبر جُمَلٍ مبثوثة هنا وهناك . كلّ جملة في كتاب . أو في ذاكرة لا تزال على قيدٍ الحياة . وهنا يأتي دور الباحث . الذي لا يملّ البحث عن القليل المتشظّي من الحقيقة . الإنسان بطبعه منقّب آثار . وقد يكون الأثر حجراً أو مدينةً . أو أحفورة حيوان أو نبات . وقد يكون الأثر كتاباً مخطوطاً . أو جملة في ذاكرة تراكم



عليها تراب العمر .
وأنا أقرأ في كتاب (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) لطه باقر . حاصرني تساؤل لم أتمكّن من التخلّص منه . حتّى إحتلّني تماماً . لقد عاش السومريون والأكديون والبابليون والآشوريون حياتهم . وقضى طه باقر حياته ليثبت أنّهم كانوا موجودين . وكانوا متمدّنين أيضا . لقد بدا لي كما لو أنّهم سرقوه من الآن . لقد كان التاريخ مركز حياته . سنقرأ طه باقر باعتباره صوت الماضي حيّاً صوتهم تحديداً . هكذا . بعض العلم يسرقنا من حياتنا . يجعلنا خارج نطاق التاريخ الحي .
هل ما أفعله في عمليات تنقيبي هنا وهناك . في التاريخ العربي والإسلامي تحديداً . هو تكرار لتجربة طه باقر ؟ كان التساؤل شخصيّاً جداً . رعشة لامست أغصاني كلّها . بدأتْ أجراسُ الأسئلة تُقرعُ في صخب . وضعتُ الكتاب جانباً . ومثل عصفور كنتُ أحاول التحليق تحت مطرٍ كثٍّ .

أن تنتبه قبل النهاية . قبل توقّف الرأس عن التفكير . وقبل ذهاب العلم. فهو انتباه خطر ومدبّب . لكن ليس الى اتّجاه واحد . هذا الإنتباه يجعلك تماماً على مفترق طرق . إمّا العودة الى الحياة كما يراها الآخرون . أو الخروج إليها كما تراها أنت . يمكننا أن نترك الطريق للحظة إستراحة في مقهى جانبي . الإستراحة هنا فرصة للتأمّل قليلاً . مراجعة إتّجاه السير . والإنطلاق مجدّداً . ربّما الى البداية الأولى .

القضيّة أكثر تعقيداً وغموضاً . بالنسبة لي على الأقل . وهي تحتاج الى اتّخاذ قرار . وأعتقد أنّ التفكير - حولها وفيها - هو المقهى الجانبي والوحيد لي . التفكير هنا هو فرصة التأمّل . التفكير يجعلك في الحياة. ويمنحك القدرة على أن تكون مشرفاً عليها . ونحن بحاجةٍ دائماً الى أن نكون مشرفين على حياتنا . حتى لا نذهب في الموج دون أن ننتبه .

الغموض أحياناً يجعل القضيّة أكثر غواية . هكذا . حَدَثٌ ما ينتشلك من الحياة. تجد نفسك عالقاً في سنّارته . لكن ليس الى النهاية .



لقد رأيت الذين يصطادون أسماكاً . يقبّلونها . ثمّ يعيدونها الى الماء .
بعض الأحداث الإجتماعية لها فعل هؤلاء الصيادين . تنتشلنا من الحياة .
تجعلنا نُشرف عليها . ثمّ تعيدنا اليها . لكنّها عودة بخبرةٍ أخرى .

أقلقني ذهاب حياة طه باقر . تماماً كما أقلق ابن عباس ذهاب العلم . وهما قلقان مختلفان . كنت أفكّر في حياة طه باقر . لأنّ قضيّة الحياة تثيرني أكثر . إنّها تخصّني أيضاً . كنت أخشى أن يتمّ سحب البساط فلا أنتبه إلا والحياة على الحافّة . الحيرة هنا بين أن أتقدّم أو أن أقف .

وكما قلت فإنّ التفكير هو المقهى الجانبي الوحيد للتأمّل . لكنّه مقهىً ثعلبي الحوار واللغة . يراوغ على أماكن عديدة . ويشير الى اتّجاهات عدّة أيضاً . التفكير ليس أوّل الطريق . بل أوّل المتاهة .
المتاهة هنا ليست سلبية أبداً . لأنّ الطريق السهل يقود الى تكرارٍ فجٍّ .
وعليه فالمتاهة هنا هي أوّل الإنتباه لنفسك خارج نطاق التكرار . الخروج من التكرار هو أخطر ما يمكن أن يصل إليه الفرد .
التفكير حافّة حادّة جداً . وضعٌ لا يعرف الطمأنينة . لكنّه في نفس الوقت أكثر استرخاءً من الطرق الجاهزة .

للتفكير بداية . لكنّه قد يتوقّف . من هنا كانت جملة أنجلز أمام نعش ماركس : « الأن فقط . توقّف هذا الرأس عن التفكير « . جملة « الأن فقط « تعني أنّ التفكير ليس لحظةً . بل حياة .
عندما تقفز الى التفكير لن تعود الى بدايتك الأولى . السنّارة التي التقطتك مرّةً ستغويك دائماً بطعمها على أن تلتقطك ثانية وثالثة .
التفكير يجعلك جاهزاً للخروج على نفسك . أو منها .

ومع هذا يحدث أن تُصاب بحادثٍ يجعلك خارج القدرة على التفكير لكن ليس بإرادتك . يمكنّني هنا أن أتحدّث عن تجربة الجنون في السنوات العشر الأخيرة من حياة نيتشه مثلاً . أو عن تجربة الجنون في السنوات الخمس



والثلاثين الأخيرة من حياة هولدرلين . جنون الفيلسوف وجنون الشاعر .
إذا كان الموت نهاية طبيعية للتفكير . فالجنون خذلانٌ للعقل وخذلانٌ للحياة .

هل خسر طه باقر حياته حقّاً ؟ وهل أنّ حياتي تنسحب من تحت أقدامي؟ ولماذا كلّ هذه الغواية التي جرّت طه باقر . وتجرّني ؟ سرعة الإنزلاق في الغواية تعلو كلّما تقدّم الوقت . بل أنّ الخطوات تتسع الى حدّ أن تطوى لها المسافات . مسافات الوقت . والمكان أيضاً .
كلّ هذه التداعيات وأنا أقرأ طه باقر . وأنا أدور في فلكه . تماماً كما يقرأونني الآن أحدهم لا أعرفه ويدور في فلكي . شيء ما غريب وغامض ينسج اللعبة كلّها . يجعل خيوطنا تتداخل بعضها ببعض .

لقد رأيتُ ذلك وأنا أقف على جسر المشاة في منطقة الشورجة عام ٢٠٠٠.
كان الحشد الكبير خيوطاً . كانت الخيوط تتحرّك بين بعضها البعض . تتداخل . لكنّها لا تصنع نسيجاً . كان كلّ فرد يذهب في غربته وحيداً . هكذا . الخيوط تنسحب وتتلاشى في النهاية .
غير أنّ هذا لا يحدث في علاقتي مع طه باقر أو في علاقتي مع قارئ لا أعرفه الآن أو غداً . ثمّة نسيج ما ينمو . هنا وهناك . ليس في المكان فقط . بل في الزمان أيضاً . ثوبٌ جديد تحاول الحياة أن ترتديه .

لقد كان وجود طه باقر مهمّاً في حياتي . شكّل جزءاً من هويّتي . لقد عاش أكثر من حياة . ولا يزال . حاول أن يعرف البدايات البعيدة جداً . وكان هذا خروجاً على كثيرٍ من الطرق التي تعتقد أنّ درابينها هي كلّ ما في الحياة .
كما لو أنّه يصيحُ الآن في رأسي : أيّتها العشيرة . جدّك البعيد ليس أوّل البدايات . أيّها الدين . « عرفتَ شيئاً وغابت عنك أشياءُ «.



أجنحة العماء



من المفارقات الطريفة التي تصلح أن تكون نافذة لقراءة خبيثة تثير استفهاماً جدليّاً حول فوائد الحواس . هي ما ذكره المؤرّخون عن رجل غريب جاء الى بشار بن برد . شاعر البصرة الأعمى . يسأله عن دار رجل آخر . فدلّه على الدار . إلا أنّ الرجل طلب منه أن يأخذه بنفسه إليه . زيادةً في الإطمئنان .

فقال بشّار : ولكنّي رجل أعمى

قال الرجل : أنا أمسك بيدك . وأنت تدلّني !

قيل فأخذه بشار بنفسه الى الدار المطلوب . وطرق الباب . فلما فتحت له أنشد :

أعمى يقود بصيراً لا أباً لكمُ

قد ضلّ من كانت العميان تهديه

بشّار هنا يتحدّث عن العمى بشكل عام . فهو يشير الى عمائه الطبيعي.



وفي نفس الوقت يشير الى عماء العقل . بشّار أعمى بصر . أمّا الآخر فأعمى ذهن وتفكير.
لم يقف العمى الطبيعي حاجزاً أمام بشّار . بينما لم تكن حاسّة البصر نافذة عند من سأل .
ولا ننسى أن ننتبه أيضاً الى الطاقة الرمزية التي يتضمّنها المعنى . فقد يكون النظام المعرفي العام الذي يقود الناس نظاماً معرفياً أعمى . وبدلاً من أن يهديهم الى الطريق يأخذهم الى التيهان . وهذا ما تضمّنه بيت الشعر . رغم أنّ بشّاراً أوصل السائل الى الدار التي أراد . هذه القراءة تجعل من التجربة نافذة لقراءة الغباءات التي تقود الناس هنا وهناك على الأرض. وفي أزمان مختلفة .

إذن . ليس هناك معنىً واحداً أو حتى مستوىً واحداً للعمى . بل يمكن أن يكون إيجابا وليس سلباً . هكذا . عماءٌ يحيلك الى حجارة . أو عماءٌ يجعلك جناحاً في طائر . القضيّة في النهاية متعلّقة بالفرد ذاته . بقراره الخاص إزاء وجود الحاسّة أو إنعدامها .
لم يكن بشّار بن برد الأعمى الوحيد الذي هدى شخصاً مُبصراً الى الطريق الصحيح . فالتاريخ العربي والعالمي يحفل بمثل هذه القصص التي تفتح نوافذ الدهشة والإستغراب .

ولأنّ الغباءات أوضح من أن يشار إليها . أتركها جانباً . وأتّجه عميقاً في الزمن .
أتبع البصيرة النافذة . وأترك البصر الكسيح . فأتخيّل هوميروس . الأعمى أيضا. شاعر اليونان الكبير وهو يغنّي أشعاره بين جماهير تلهث جاهدةً أن تلحق بمخيلته . وأن ترى ما يراه . هل كانوا يغمضون أعينهم ليتّسع المدى؟
هل كانوا يغلقون نوافذ البصر كي يبتعد الأفق . وتنسحب الأبعاد ؟
أتخيّله جالساً بين الجماهير يضرب بأجنحة عمائه فضاءات هائلة . يخترق الأزمان والأمكنة . يغنّي التاريخ اليوناني . يغنّي أسرار الآلهة . يغنّي التفاصيل الدقيقة التى حسمت التاريخ . هل كان قريباً حقاً من كلّ تلك



الينابيع ؟ هل لامس ماء بداياتها ؟ لا أحد جادله في نصٍّ أو روايةٍ ما . على العكس تماماً . تحوّل غناؤه الى حجرِ أساس لبناء تاريخ اليونان البعيد .
تأنق في وصف الصراع بين الطبيعةِ والعقل . بين الإنسان والآلهة . وغاص عميقاً في سرد الفرح والحزن معاً . كيف سحل أخيلُ النازف هيكتور أمام أسوار طروادة. وتحت أعين الآلهة جميعاً . وكيف حاصر بوسيدون إله البحر أوديسيوس منفرداً بين أمواج كأنّها بنايات تنهار . مشهد رعب هائل . غير إنّ إله البحر يتبع رغبة هوميروس ولا يُنهي المشهد . ولا ينجو أوديسيوس . كان التيه عقاباً على التجاوز (سيتيه موسى أيضا مع شعبه في سيناء. وتتيه مراكب العابرين مخاطرةً بالحياة الى الحياة) ويرتفع الجدل الإلهي / البشري . عندما يصرخ أوديسيوس : ما الذي تريده منّي ؟ فيأتي جواب بوسيدون : لا أريد موتك . أريدك أن تعرف أنّك إنسان فقط . وليس أكثر من ذلك .
أتخيّل الجمهور اليوناني وهو يتراصف جلوساً حول هوميروس الأعمى . يحاولون جميعاً أن يجدوا مساماتٍ في جدران عمائه كي يدخلوا اليه . كي يروا ما لا يرون .

وما بين أبي العلاء المعرّي وبين طه حسين ألف سنة من البصر أيضا . بقيّ الأوّل فيها مثار تساؤل المؤسّسات الإسلامية التي توالت على العرش . بعد أن جعله ابن الجوزي ذو البصر التكفيري : أحد أشهر ثلاث ملاحدة في تاريخ الإسلام . الى جانب ابن الريوندي وأبي حيّان التوحيدي .

عندما يقارن أبو العلاء نفسه بالآخرين فهو أكثر تفوّقاً على كلّ ما موجود. هو الشمس :
« ومن لهم بإخفاء شمس ضوؤها متكامل »
ولعلّ كلمة (أرى) هي أكثر الكلمات إستخداما على لسانه في كتابه (لزوم ما لا يلزم) . وعليه فهو يرى بحدّة لا يمتلكها أحدٌ غيره . لكنّه . إزاء الحقيقة . يشعر بالعمى . ليس هو فقط . بل :
« وبصيرُ الأقوام مثليَّ أعمى



فهلمّوا في حندس نتصادم »

هو أعمى عندما يتحدّثً عن أسرار الكون . هو أعمى حين يتأمّل البدايات الأولى للإنسان . هو أعمى حين يتحدّث عن الغاية . هو أعمى قرب الجدوى من الوجود بأكمله . هو أعمى عندما يدخل في جدلٍ حادٍّ مع ذاته :

« مهجتي ضدٌّ يحاربني

أنا منّي كيف أحترس »

إقراره بهذه العماءات هو الذي دفع ابن الجوزي الى تكفيره . لأنّ الأخير يرى البدايات واضحةً جداً . ولا أسرار في الكون والخلق . والغاية بيّنة . ولا عبث هناك ولا سدى . ابن الجوزي يتحدّث بأعلمية مَن خدعه البصر وخدعته المؤسّسة . بينما يتحدّث المعرّي ببصيرة مَن كفّ عن ملاحقة زوغان العين وأحادية الرؤية .

لم يخل بيت المعرّي من تلاميذ كانوا يفدون إليه من مناطق بعيدة . ولعلّ تلميذه التبريزي هو الأشهر . والاكثر حضوراً بينهم . يفدون اليه ليعرفوا منه . ليأخذوا عنه . لقد كان دليلاً لكثيرين . تماماً كابن برد . وكان من التواضع أن يستقبل تلاميذه بماذا تريدون منّي . لا غنى . ولا علم ؟ (لكنّها مقلوب تجربة أوديسيوس. فالمعرّي هنا هو بوسيدون إله البحر . والوافدون إليه يطلبون النجاة من التيه والعماء) .

ومع هذا . كان هناك دائماً . أكثر من ناسخٍ . يحيطون به . يكتبون ما ينطق.

الصراعات التي بدأها أبو العلاء أشعلها توأمه طه حسين ثانية . وإذا ما تمّ تكفير الأوّل . فقد تمّ إحراق بعض كتب الثاني . ولعلّ صدى محاكمة كتاب (في الشعر الجاهلي) لا يزال عالقاً في أذهان الكثيرين ممّن لهم علاقة بالأدب وبالفكر . فهي الباكورة الأولى لحملة التغيير في كيفية قراءة تاريخ ما قبل الإسلام في القرن العشرين .

كان كتابه الشرارة التي أعادت إحياء أدب وفكر عرب الجزيرة قبل ظهور الاسلام وتحوّله الى مؤسّسة أحادية النظر .

وبالتأكيد فإنّ طروحات طه حسين لم تكن بعيدة عن طروحات المعرّي في



(رسالة الغفران) أو في (لزوم ما لا يلزم) . لقد كان نجيب سرور مصيباً تماماً في إشارته لذلك .

هكذا . أجنحة العماء تأخذ المبصرين الى فضاءاتٍ أخرى . ورؤىً مغايرة . تحمل من الجرأة أن تقترب من الحقيقة أكثر وأكثر .

أعمى يمتلك من قوّة البصيرة ما يجعل البصر أعمى .



هل أنا مطالب ببداية جديدة ؟



وجدت نفسي داخل صفٍّ مدرسيٍّ غريب . كما لو أنّه الصف الأوّل الإبتدائي . كان مكتظاً بالتلاميذ . لم أنتبه لأشكالهم . ولا حتى لألوانهم. غير أنّ الذي أثارني حقّاً أنّ مقاعد الصفّ الدراسي لم تكن مرتّبة بشكلٍ أفقي . بل كان الترتيب مدرّجاً تماماً كما لو أنّني كنت داخل مسرح .
لم أر خشبة للمسرح . كما أنّني لم أر سبورة أيضا . كانت نظرات التلاميذ الصغار تحدّق بي . وأنا أحاول الصعود الى أعلى الصف . لم يكن هناك سلّماً للصعود لذا شققت لي طريقاً بين التلاميذ . ولشدّة إكتظاظهم. كنت أحاول بصعوبة النفاذ الى أعلى . حتى أنّني خطوت على بعضهم. حاولت أن أكون ودوداً وأنا أطأ جسد هذا أو جسد ذاك . ثمّ أنّني سألت أحدهم وقد رأيت على وجهه تعبا . منذ متى وأنتم تجلسون هنا . فأجابني: « صار إلْنا خمس وأربعين سنة هنا .
قلت مستغربا : منذ خمس وأربعين سنة .
قال : إي . خمس وأربعين سنة يا دوب تكفي علمود ننسى » .



واصلت صعودي نحو الأعلى . فجأة . الأرضية الخشبية بدت متآكلة وآيلة للسقوط . أخطو بحذر . أوشكت أن أقع . إقتربت من المعلم . أو هذا ما توهّمته . كان واقفاً في أعلى نقطة من الصفّ . قلت له : « إنّهم هنا لا ليتعلّموا . بل لينسوا ! »
لم أسمع ردّاً منه . كانت بسمته تشبه التي على وجه الموناليزا . ثمّ فجأة ظهر أبي . وكان متعباً من السفر . فلما رآني قال : إشتريت أمواس حلاقة لكنّني نسيتها . ثمّ ذهب ليجلبها « .
كان هذا حلمي لهذا الأسبوع . صحوت وأنا سعيد جدا . فأنا أحبّ الأحلام التي تدفعني الى التأمّل . خصوصاً تلك التي تحتوي أحيانا على رؤى بطاقة معرفية هائلة . قد تكون واضحة صريحة . وقد تأتي مشفّرة ملغّزة . وأحيانا . لكثرة الرموز والألغاز التي فيها تبدو مثل مناهة لا تقود الى إتّجاه . صحوت من النوم وأنا محمّل بهذه الرؤيا . وسعيد بها . أحاول الإحاطة بها من كلّ اتّجاه . أحاول أن أتذكّر التفاصيل كلّها . التفاصيل الدقيقة منها أيضا . لأنّ الحقيقة تحب الإختباء في التفاصيل الدقيقة دائما .
وقبل أن أقصّ رؤياي على أحد . بدأتُ أستخدم مشارط وعيي الخاص في تشريح الحلم . وقد تبدو عملية التشريح محاولة في إخضاع الرؤيا أو الحلم لصرامة العقل . وفي هذه العملية ما فيها من قصّ أجنحة الفراشات والعصافير . الرؤيا حصان برّي . والتأويل محاولة في وضع اللجام . التأويل محاولة في كسر الإنفتاح اللا مشروط .
بدأت أركّز على التفاصيل باحثاً عن نقطةٍ تصلح أن تكون مفتاحاً للرؤيا. وبالفعل توقفّت عند الرقم (٤٥) . فقد كان ترديد الرقم أعلى وضوح بالنسبة لي . ليس داخل الرؤيا . بل وأنا خارجها أحاول قراءتها .
قال الطفل : نحن هنا منذ خمس وأربعين سنة .
لقد ذكر لي سنوات حياتي على الأرض . فأنا الآن في الخامسة والأربعين من العمر . فهل كان الطفل الذي في الحلم يقصد إقامتي في الحياة . أم كان هو أنا ؟
ثمّ . أكرّر العودة على أنني كنت داخل صفٍّ مدرسي . له تصميم مسرح. لعلّ جملة شكسبير : « وما الدنيا إلا مسرح كبير « كانت حاضرة في



ركن من أركان الرؤيا . أو أنّها تجسّدت فعلاً عبر التصميم الهندسي . لقد كان التلاميذ في الصف داخل مسرح الحياة .
لكن . لماذا كنت أنا هناك في الرؤيا ؟ فإذا كان الطفل المجيب هو أنا . أي (أنا مشفّراً) . فما الداعي من وجودي صراحة فيها ؟ . لماذا هذا التقابل: (أنا) من وراء قناع إزاء (أنا) سافرا ؟ لم أر وجهي الحقيقي في الحلم . لكنّني كنت أرى كلّ شيء . وأصعد في الوقت ذاته نحو أعلى (الصف / المسرح) .
ولعلّ إجابة التلميذ على سؤالي الغريب هو الصفعة الأكثر ثقلاً في الرؤيا كلّها . وللحظة يبدو سؤالي غريبا . ولعلّ الإجابة هي التي جعلته غريبا . فثمّة ما في التفاصيل ما دفعني الى السؤال . ربّما هو ملامح التعب على سيماء بعض الوجوه . وأردت أن أسأل عن طول الدرس الواحد . فجاءت الإجابة لتشير الى الحياة بأكملها .
لقد كان سؤالي محدّدا محدوداً . علماً أن طول الدرس الواحد في العراق كان (٤٥ دقيقة) . غير أنّ الإجابة جاءت في غايّة الانفتاح . خرجت الإجابة من حيّز (المعنى) الى حيّز (الدلالة) . تحوّلت الدقيقة الى سنة . وهذا الإنزياح في الحلم هو طاقة ضمنية إضافية تجعل نوافذ الحلم مفتوحة على التأويل . وهذا درس ضمني أيضا . لي بالذات . درس في إمكانية أن يقود سؤالٌ منغلقٌ الى جوابٍ مُنْفَتِح . أي أنّ الإجابة أحيانا هي التي تقود لا السؤال . وهذه مشاكسة خبيثة من داخل الحلم ضدّ تعاليم (سقراط) .
كنت أصعد . والصعود دلالة في التقدّم أيضا . رأيتني أشقّ طريقي بين الصغار . وفي بعض الأحيان كنت أضغط بقدمي على بعضهم . فإذا كان الطفل الذي أجاب هو أنا . فمن سيكون إذن بقية التلاميذ ؟
التلاميذ كانوا رموزاً هنا . لم يكونوا طلبة عاديين . وتسلسلهم الصعودي لم يكن إعتباطيّاً . ويشير الى غموض أيضا .
هل جسّد التلاميذُ مجموعةَ القيم والأفكار التي مرّت عبر حياتي كلّها ؟ هل كنت (أنا) أصعد متجاوزاً ما كان معي منذ البداية ؟ هل كان المدرّج المسرحي رمزاً لحياتي ؟ هل كنتُ (أنا) العرض المسرحي للتلاميذ الصغار ؟ أم كنتُ (أنا) السبّورة لهم ؟ قال محسن بني سعيد وقد قصصت عليه



الرؤيا : « الصغار هنا هم سنواتك . وأنت تخطو عليها « .
هذا التأويل يجعلني ليس داخل صفّ مدرسي . بل داخل حياتي كلّها .
أي أنني كنت أتجوّل بين شخوصي أنا . أفكاري . سلوكياتي . إنتماءاتي .
الصداقات . الكراهية أيضا . كنت أتجوّل بين كلّ هذه الأشياء دفعة واحدة .
وكانت كلّها تنتظر موقفاً جديداً مني . فإجابة الطفل : « خمس وأربعون
سنة كافية لكي أنسى « . فيها دعوة ضمنية للنسيان . نسيان المواقف
والأحداث . نسيان جغرافية الزمان والمكان معاً . كما أنّ فيها دعوة ضمنية
للخروج من التضاريس والتجاعيد أيضا .
وقد تكرّر النسيان بظهور أبي في الرؤيا . فأبي نسيَ أمواس الحلاقة .
والأمواس بحدّ ذاتها رمزٌ أيضا . لأنها تتضمّن إشارة الحذف . حذف اللحى
مثلاً . الحلم لا يُعطي نفسه بسهولة للتأويل . لكنّه أيضا يغوي على
المطاردة .
المعرفة نسيان . (المعرفة / عادة) لا يمكن تجاوزها إلا (بمعرفة / عادة) أخرى.
ونحن نتعلّم فقط لكي ننسى . التعلّم بحدّ ذاته يمارس الحذف . هناك
ممحاة هائلة تتلبّسنا دائما . تخطو معنا حيثما كنّا . تشاركنا تفاصيلنا
الصغيرة والدقيقة . تعيد صياغة وجودنا في الحياة . قد تقع الممحاة على
صديق فتمحوه . وقد تقع على صحراء فتحموها . الممحاة التي تتلبّسُنا
هي النسيان ذاته . ونحن نصعد في الحذف والنسيان . وهذا هو سرّ تجدّدنا.
وهذا هو سرّ إصرارِنا على البقاء .
يقول إبني علي وقد أعجبته الرؤيا : « أنت مطالب الآن ببداية جديدة « .
فهل أنا مطالب بذلك حقّاً ؟ أترك الإجابة لمن يمتلكون القدرة على التأويل .



أتركُ نافذتي مفتوحةً للّصوص



الوقت يمرُّ .
وتزداد كثافة العمر في الجسد .
سنة جديدة تدخلِ من نافذة نسيتها مفتوحة .
تدخل السنة كلصٍّ .
لكنّها سرعان ما تصبح صاحبة البيت كلّه .
وعليّ في النهاية أن أترك البيت
لأدخل أنا هذه المرّة من نافذة مفتوحة لسنةٍ أخرى .
أدخلها كلصٍّ أيضا .
أحاول قدر الإمكان أن أكون أنا صاحب البيت والوقت معا .
أو لأخرج منها والى الأبد .

بين هاتين الحالتين على خشبة أرجوحة ركبتها وأنا طفل . ولا تزال عالقة في الذهن . لا يزال صاخباً نقيقُ تلك الدهشة وتلك الرغبة في التحليق الى



الأعلى . أذكر خوفي ورغبتي معا . أخاف من العلو وأرغب فيه . الأرجوحة ذاتها بحبالها المتينة . أركبها الآن وأنا أدخل سنة أخرى . محاولة في الصعود . تراكم العمرِ صعودٌ أيضا . الرغبة لا تزال قائمة . أتنافس مع علو الأرجوحة أيضا . ومع هذا هناك ما يسحبني الى الوراء القصي. الى البداية الأولى . الى الرحم الأوّل . كما لو أنني أتقدّم على قلق من الإنقطاع. إنقطاع الحبل . وانقطاع الصلة . ومع هذا فالتأرجح لذّة قصوى . التأرجح جسرٌ معلّقٌ مقلوب . أشياؤنا المعلّقة هنا وهناك . يمرُّ الوقت ويبقى شيء من كلّ شيء . شيء من الماضي . وليس الماضي كلّه . شيء من الحاضر . مع ضربة فرشاة من المستقبل . الأرجوحة تمنحني الإقامة في الزمن المنفتح . تمنحني زاويةً للنظر . تجعلني أكثر إتّساعا وثقلا .

التأرجح هنا لا يعني التكرار . ونحن في النهاية لا نكرّر أيامنا . حتى وإن كنّا نعتقد ذلك . فثمّة لقاء هنا أو حوار هناك . إتصال هاتفي غير مخطّطٍ له . يجعل من يومي مختلفاً عن سابقه . يفتح لي نافذة أو يغلق نافذة . وعليّ أن لا أكرّر نفسي كما أنا بالأمس . المسألة في النهاية مسألة شخصيّة – أحدهم يرسم دائرة ويظلّ يدور فيها - لكنّني أجد في نفسي دائماً الرغبة على الخروج . هذه الرغبة هي سرّ الإختلاف . وهي الدافع إليه . وأنا أختلف اليوم عن ما كنت عليه أمس بقدر رغبتي وتجسّدها .

التأرجح بين السماء والأرض . بين الضوء والظلام . بين الجهل والمعرفة . بين الحياة والموت . بين الإنفتاح والإنغلاق . بين الحبِّ والكراهية . بين أزمة إقتصاديّةٍ وانفراجها . بين وصول السفينة أو غرقها . كلّ ذلك يمنح أيامنا خصوصيتها . ويمنحنا أيضاً خصوصيتنا كأحياء في العالم . هكذا . قلقُك الخاصّ هو هويّتك الخاصّة .

أنا على خشبة الأرجوحة . ورغبتي على القفز بعيداً عاليةً وعارمة . وأنا أتبع نقيق رغبتي الى أقصاه . أحاول أن أتقصّى آخر الإكتشافات المختبرية. وأتحسّس بعمق جملة (ستيفن هاوكنغ) حين يعلن موت الفلسفة . فالعالم يجري الآن في مجارٍ أخرى . لقد تغيّر مجرى النهر . وعلى الناس من أجل أن تواصل حياتها بانفتاحٍ أن تتبع المجرى الجديد لنهر الحياة . المعرفة الجديدة تُعيد رسم خرائط المكان والزمان . وتُعيد تسمية الأشياء مرّة



أخرى. أسماء جديدة لم تنزل من رحم خرافةٍ أو أسطورة .
أقول ذلك وأضحك من أخمصي الى الرأس من أولائك الذين يعتقدون نهاية العالم في (٢١.١٢.٢٠١٢) لأنّ السنة ستمر . ستدخل من نافذة سنة أخرى لا لتقيم بل لتعبر . كثيرون هم الذين توقّعوا نهاية العالم . وكان العالم بمجرّاته . بضوئه وظلامه يضحك من محدودية عقولهم . ويرقص بين توسّلاتهم مثل نارٍ غجرية .
أقول ذلك وأتألم من أخمصي الى الرأس لأجل الذين ينتظرون المنقذ على الأرض كيفما كان شكله أو نسبه أو إعتقاده . لأنّ الإنسان الذي لا يغيّر نفسه بنفسه لا يغيّره هابط من السماء أو صاعد من الماء .
على خشبة الأرجوحة . واقفاً أتأرجح . بين أقصى التطرّف وأقصى الإنفتاح. أرى العالم ينفض عن أكتافه جهل قرون طويلة وثقيلة . وأرى تلك القرون تحاول قدر استطاعتها أن تضيّق الخناق على العالم . تحاول أن تضع العالم في علبة . تشبه تماماً علبة سردين . الأفراد فيها منوّمين . يمكن سماع شخير القرون مكثّفاً في علبة السردين هذه . شخيرٌ لا صلة له بالموسيقى. لا صلة له بالفن . ولا صلة له بتحسّس الجمال . ومع هذا فالنائمون هنا وهناك يحاولون أيضا بأقصى ما يستطيعون من قوّة وعنف أن يجعلوا العالم يشخر كمثلهم . هناك طموح عجيب في أن يجعلوا العالم كلّه نائماً . أرى ذلك وأدفع بخشبة الأرجوحة الى الأعلى والأدنى .
سنة جديدة تدخل من النافذة . وأنا في البيت أنتظر اللّص لأشاركه البيت. محاولة في الحفاظ على بعض حقوقي في ملكية جسدي .
الوقت . هذا اللّص المحتل . يسرقني ويقيم . ينصب خيمته في جسدي . مثل كثيرين متطابقين بسمات مختلفة . هذا اللّص عليّ أن أتأمل منه شيئاً جديدا . ربّما ليحدث ما أريد . عليّ أن أتأقلم معه بدءاً . أن أتحاور معه. أن أسمع منه . وأن أرى برنامجه القادم .
لكلّ سنة هويّتها . أحد ما يولد . أحد ما يموت . صعود نجم أحدٍ ما معرفة. أو صعود ظلام أحدٍ ما جهل . حدث إجتماعي خاص . أو كارثة طبيعية. فهذه سنة الفيضان وتلك سنة الحريق . السنوات تختلف عن بعضها البعض مثل الناس تماماً . وكما أنه من الغباء حشر الناس جميعا في



علبة فكرية واحدة . كذلك من الغباء حشر السنوات في علبة وإطلاق تسمية ما عليها .
أراقب اللّص الجديد وهو يخترقني من نافذة نسيتها على عمدٍ مفتوحة . أحاول التودّد إليه . أجلسه معي على خشبة الأرجوحة وأريه أيضا الأعلى والأدنى . أريه الإنغلاق وما يجر إليه من إختناق وضيق . وأريه الإنفتاح وما يمنح من سهولة العيش . أريه أنّنا أحياء أوّلا . وأنّ الموت ليس أواننا بعد . أنا حيٌّ وأريد أن أعيش كحي . وأن أحلم كحي . وأن أتمنّى كحي . حيٌّ لا يرى للحياة حدوداً ولا أسيجةً مكهربة . حيٌّ يرى السماء تقبّل الأرض عند الأفق كما رأتها عين (شيللي) . حيٌّ يرى الحياة فرصةً نادرةً للتجريب . تجريب كلّ شيء . حيٌّ يرى الخرافة زمنا إنقرض رغم إصرار الكثيرين هنا وهناك الى التشبث بأذيالها . حيٌّ لا يرى للموت فضاء في سمائه . الموت فضاء الميّتين فقط . أما الأحياء فيأخذون الأرجوحة الى أقاصٍ تزداد سعةً وعلوّاً .



هكذا قادني الأعمى الى الحلاج



كان يوماً غائماً في أواخر عام ٢٠٠٠ . وكنتُ مصاباً بالإنفلونزا مع بعض منشّطات الحمّى والصداع . قرّرتُ أن أقوم بزيارة مقام الحلاج في جانب الكرخ من بغداد برفقة كائن جميل . ولم تك تلك زيارتي الأولى إليه . فقد سبق لي أن فعلتها قبل ذلك بعشرة أعوام تقريباً . ثمّة ما يشدّني الى هذا الرجل . لعلّها غربته الروحية التي تجاوزت الحدّ فاستنكرها مجايلوه من أبناء المذاهب الدينية كلّها (لم يسبق أن إتّفقت المذاهب بكلّ تناقضاتها ضدّ شخص بعد مسلمة الحنفي سوى الحلاج . فقد وقّع على قرار صلبه أكثر من ثمانين إماماً وفقيها). لعلّ ما يشدّني إليه ثورته على النقل . مع ميلي الشديد الى اعتماده الكلّي على التجربة الذاتية في فهم علاقة الفرد بالله دون وسيط : " ما في الجبّة إلا الله " . هكذا . الله تجربة إنسانية تبدأ مع كلّ فرد بعيداً عن التلقين . الله لا يُوَرَّثُ . ولا يمكن نقل الوعي به عبر ركضة بريد . وهذه التجربة من الخصوصيّة بحيث أنّها تحدّد شكل وعمق الفهم الذاتي لعلاقة الفرد بالله . وكلّ ما سواها فأضغاث إيمان . من أجل كلّ هذه الأسباب ذهبتُ الى الحلاج وفي رأسي طواسينه وأشعاره وأخباره . إضافةً الى ما وقع بين يديّ مما كُتِبَ عنه يومذاك (قرأتُ كتاب آلام الحلاج لماسينيون فيما بعد في سيدني) . وكان ولا يزال بيته الشعري يرقص



في رأسي مثل طاووس أمام باقي الشعر :

" طلبتُ المستقرّ بكلّ أرضٍ

فلم أرَ لي بأرضٍ مستقرّا "

أذكر أنّنا وصلنا الى مقام الحلاج في جانب الكرخ بالقرب من مقبرة (معروف الكرخي) والشمس عبر نوافذ الغيم تقترب من إستقامتها . كانت صدمتي الأولى . أنّ المكان تزيّا ببناء جديد قطع لي صلة النسب . فأنا أنتمي لما رأيته قبل عشرة أعوام . كانت الأكفّ المحنّاة على البوابة ذاتها . غير أنّ الباب إختلف . هذه حنّاء جديدة لا يمكن تحسّس عنقها . أما تلك فكانت كما لو أنّها تصبغ شَعر الحلاج ولحيته .

الناس تفرح بالتجدّد . لكنّني لحظتها أحسست بفقداني للقرب . أحسست بعدم الإنتماء لمن أقوم بزيارته . وحتى لا أنهي علاقتي بالمقام تماماً دخلتُ . كانت الباب مفتوحة فدخلتُ . لم يكن هناك قرب الباب من أحدٍ فدخلتُ . كان عندي إحساس بأنّ الحلاجَ ينتظرني فدخلتُ .

الذي فاجأني أيضاً أنّ سادن المقام قد تغيّر . فبعد أن كانت امرأة عجوزاً . أصبح رجلاً ضريراً بصحبة إبنته وأطفالها .

ثمّة في الأماكن ما يحيل الى هويّتها . كالبناء بطلاسمه ورموزه . وكالسدنة الذين يقومون على خدمة المكان وزائريه . وأنا هنا أتحدّث عن الأماكن التي تمتلك جذراً دينيّاً . أي الأماكن التي توجد مسيّجةً بنكهة الروح والقِدَم . وكلّما كان البناء عتيقاً . وكلّما كان السادن طاعناً في السنّ كلما أدّى البناء والسادن وظيفتيهما جيّداً . وبالتأكيد . كلّما ثبت شكل البناء . وكلّما ثبت السادن كلّما أدّيا وظيفتيهما جيداً أيضاً . وكلّما منحا المكان ديمومته الروحانيّة .

وقفتُ لحظتها أمام تغيّر البناء والسادن معاً . شيء ما لا أعرفه . وهذا ما جعلني أفقد الصلة بالمكان . غير أنّ عماء الرجل وقُصرَه (كنت أطول منه قامة) إضافةً الى صلعته اللامعة مع طول لحية بيضاء تتدلى فوق ثوب أبيض . كلّ هذه الصفات معاً أعادت شكليّاً جزءاً من صلتي بالمقام . ثمّ أنّ الرجل عرّف لي نفسه. وكان يعود الى الشيخ عبد القادر الكيلاني نسباً . شيء من الروح أيضاً . فقلت له : نسب والدتي يعود الى الإمام علي بن أبي طالب .

قال : نحن أبناء عمّ إذن .

وهكذا . ومن أجل أن أتهيأ نفسياً لاحتواء المكان الجديد باعتباره المكان القديم ذاته. بدأت أمارس دوري الطبيعي كذبابة خبيثة . لذا قلت مستفهماً أحاول



معرفة عمق الرجل : مَنْ صاحبُ هذا المقام ؟قال الرجل الضرير بزهو : إنّه أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج.
قلت : ولكنّه لم يكن هكذا قبل عشر سنوات ؟ وأين المرأة التي كانت هنا ؟
قال : أمّا المرأة فماتت . وأمّا المقام فقد أمر (عزّت الدوري) بتجديده من العِرْق (الجذر) .
قلت مستنكراً : مِنَ العِرْق ؟! إذن لم يبق من الحلاج شيء .
قال مستدركاً : لا . لا . إنّهم جدّدوا القبر ولم ينزلوا الى اللحد .
قلت : ولكنّ الحلاج تمّ تقطيع يديه ورجليه ورأسه وإحراق جسده . وتمّ ذرّ رماده في دجلة عام (٣٠٩ هج) . حتى أنّهم يقولون أنّ دجلة فاضت ذلك العام (وفي رواية أنّ ماء دجلة إرتفع فطرحوا رماده في الماء فسكن). ولعلّ هذا المقام هو أحد مقامات الرأس . حيث تمّ تعليقه على جدار السجن الجديد يومذاك . ثمّ تمّ حفظه في متحف الرؤوس في قصر الخلافة قبل أن يطوفوا به في الآفاق .
قال الرجل الضرير : منذ وأنا طفل صغير أعرف أنّ هذا المكان هو قبر الحلاج .
قلت : هل تحفظ له شيئاً ؟
قال : نعم
قلت : أَسْمِعْنِي إذن شيئاً له .
قال : لكنّني لا أقرأ . أنا أُجَوِّد فقط .
كانت كلمة (أُجَوِّد) صفعةً أخرى لي . وقد أحببتها . كلّ ما في الرجل يحيلني الى هناك . شكله . نسبه . لغته (على بساطتها كانت مليئة بمفردات التصوّف كالعشق) .
قلت : كلام الحلاج يستحقّ التجويد .
قال : فلنجلس إذن . وأريدك أن تجلس قبالتي .
فعلت ما طلب . فجلس وجلست قبالته . لم يكتف بذلك بل وضع كفّيه على أكتافي كما لو أنّه يؤدي طقساً صوفيّاً بالملامسة . ثمّ بدأ يرتّل نصّاً شعرياً ملمّعاً (مزج فيه اللغة الفصحى مع اللغة المحكية) . كان النصّ طويلاً . وكان يؤديه بحبٍّ وثقةٍ كمن يمتلك المعرفة القصوى . وبطريقة



الدراويش التي تخيل الى قرع الدرابك في حلقات الذِكر . كان رأسه يتمايل يمنة ويسرى وبإنحراف الى الأمام والوراء . وكنتُ في ذروة ذلك مأخوذاً بالجلوس بين يدي ضريرٍ يلقّنني . أراقب إنفعاله الحقيقي . أراقب عينيه . كان فيهما شهوة جامحة للرؤية . كان يحاول إيصال رسالة الحلاج إليّ . وكنت أستقبل كلّ إشارة فيها . عندما انتهى من التجويد . قلت له : هذا النصّ ليس للحلاج . ولكنّه عن الحلاج .

قال وقد هدأت ثقته وانفعاله : هذا الذي أحفظ له .

قلت : هل تريد أن أُسمِعُكَ شيئاً من شعر الحلاج ؟

وهنا طار فرحاً . كانت بسمته تدفع اللحية الى احتضان لمعان الصلع . أبقى كفّيه على أكتافي . واقترب منّي أكثر . ومثل طفل قال : نعم . نعم . بدأتُ أقرأ ما تيسّر لي من شعره . وكان الرجل الضرير يميل برأسه مأخوذاً بنفحة الحلاج . تماماً مثل ورقة تحرّكها ريح غامضة . وكان يصيح بين بيت وبيت (ألله. ألله) . فجأة لا شيء في المكان سوانا . لا أراه ولا يراني . عماؤه كان حجاباً لي أيضا . كانت روحه تطفو على بياض عينيه :

" والله ما طلعتْ شمسٌ وما غربتْ
إلا وذكركَ مقرونٌ بأنفاسي
ولا هممتُ لشربِ الماءِ من ظمأٍ
إلا وكان خيالٌ منكَ في الكاسِ
ولا جلستُ الى قوم أحَدِّثهم
إلا وكنتَ حديثيً بين جلّاسي
مالي وللناس كم يلحونني سفهاً
ديني لنفسي ودينُ الناسِ للناس «

خرجت من مقام الحلاج معافى . كانت التجربة الروحيّة المباغتة أشد سخونة من الحمّى . ومن الصداع . ومن الإنفلونزا . لقد لقّنني الرجل الضرير درساً في كيف يحافظ الإنفعال الشعبي على جزء من السيرة الحقيقية . ولقّنتُ الرجل الضرير درساً في كيف يحافظ العقل والتجربة الذاتية على تثبيت السيرة وديمومتها. كلانا فعل ما عليه تجاه الحلاج . وكلانا أثّث المكان الجديد بنفح ثورة قامت ضدّ القراءات الغبية . قامت لتستمر .



سجين مخالب الدجاج



أعتبر نفسي قارئاً سيئاً لفن الرواية . لكنّني من المدمنين على قراءة كتب السير الذاتية . وغالبا وأنا أقرأ سيرة أحدهم - كائناً من كان - أجدني أبحث عن نفسي فيها . أو عن ما يشبهني فيها . عن ما يمكن أن يجعلني أنتبه لأحداث مرّت معي وتجاهلتها . أو لعلّها حدثت معي ولم أشعر بها . وعن أشخاص كانوا على مقربة مني . بل لعلّهم أثّثوا هويّتي الشخصيّة . دون أن أنتبه لهم . كما لو أنّهم خارج حياتي كلّها .

أريد أن أقول أنّ قراءة السيرة الذاتية - لأيٍّ كان - كانت تمنحني قدرة الإشراف على حياتي من الخارج . تجعلها مثل دائرة وأنا أقف خارج محيطها. وقد تكرّس هذا الإحساس عندما غادرت العراق عام ٢٠٠١ .

الهجرة جعلتني أنظر لحياتي السابقة كما لو أنّها سيرة ذاتية لكائن آخر . كائن أتّصل معه بنسب غامض . لا أريد الفكاك منه . لكنّني أيضا لا أريده إلا هناك في مكانه وزمانه .

ومنذ لحظة خروجي من العراق بدأت تطفو على ماء التذكّر شخصيّات



وأحداث لم أتوقّع أنّها كانت تمتلك كلّ ذلك الحضور . بل أتعجّب كيف لتفاصيل صغيرة ودقيقة حفرت وجودها بهذه الدقّة في ذاكرتي !
وبالتأكيد فالذاكرة لا تحتفظ بالأحداث فقط . بل تحتفظ بأمكنتها أيضا . وبالكثير من الإكسسوارات التي تؤثّث مشهدا ما . الى حدّ أن ترى خيوط ضوء الشمس الأولى على جدار تمّ بناؤه ليلا .
هذا ليس موضوعاً خاصّا . فهو يتجاوزني حتما . سيجد القارئ نفسه في ذات الفخّ . والأمر يختلف من كائنٍ لآخر . لكنّه يزداد ثقلاً حين يبدأ السؤال الوجودي القديم بالصعود الى سطح الوعي : من أنا ؟ ولماذا ؟ والى أين ؟
هذه الأسئلة تشبه مخالب الدجاج التي يرفش بها التراب بحثاً عن حبّة قمح . التراب حياتنا . والحبّة هي المعنى . أو هي الجدوى . أشهد أنّني كنت طيلة حياتي سجين هذه المخالب .
لسنة كاملة بعد خروجي من العراق كانت هناك مراسلة بريدية بيني وبين أبي . كتبت له مرّة : « سأجعلك تنتبه لحياتك كلّها . سأجعل ذاكرتك تفتح أبوابها للبوح « . كنت أسأله عن أحداث وتفاصيل كثيرة . تخصّ الجذور البعيدة لعائلتنا . إنحدار الأجداد من أصلاب آبائهم . هجرة الجدّ الأعلى السيد حسن من طهران الى كربلاء على حصان في منتصف القرن التاسع عشر . أسأله عن كيفية تشكّل قرية الزهيرات التي قضيت فيها قرابة العشرين عام . أسأله عن البدايات الأولى لكلّ شيء فيها . عن لحظة دخول الكهرباء إليها . أو متى دخل أوّل جهاز راديو . أوّل مدرسة . أوّل قنطرة على نهر خريسان . وبالتأكيد كانت هناك أسئلة حول نشوء التيّارات الدينية كالشيخية والأصولية . وكنت أسأله عن ولادة التيّارات الحزبية أيضا كالتيّار الشيوعي والتيّار البعثي (لم يكن للحزب الديمقراطي الوطني ولا لحزب الإستقلال أيّ حضور إجتماعي في خمسينيات القرية) .
كتب لي أنّه هو من أدخل حزب البعث الى القرية . لكنّه استقال منه عام ١٩٦٣ . « فقد بدأوا يدخلون بيوت الناس ويهتكون الأعراض » على حدّ تعبيره . ومع هذا فقد بقي أبي قوميّا حتى منتصف الثمانينيات . وكان من نتائج ذلك أنّه لم يتردّد في منحي إسم جمال عبد الناصر .
كنت أسأله أيضا عن علاقة القريّة بالحكومات التي تتالت على منبر الحكم.



وكان يجيبني على كلّ سؤال . كان يقصّ عليّ القصص . وفي أحيان يؤجّل الإجابة عن سؤال ما الى رسالة أخرى . فالوقت – على حدّ قوله - ضيّق وساعي البريد يقف مثل (شمعة فقر) على الرأس .
مرّة كتب لي يقول : لماذا لم تسألني عن ذلك عندما كنت بقربي ؟ يومها كتبت له : أنا خارج تلك الحياة الآن . وهذا ما يجعلني أراها بكل تفاصيلها .
وذات مرّة إتّصل بي أبي هاتفيّا وقال لي : أنت تبحث في دفاتر عتيقة . قلت: نعم. ضحك لحظتها بعمق . كما لو أنّها كانت ضحكة : « هذا فراق بيني وبينك « . كانت تلك الضحكة آخر ما سمعته منه . ولا أزال أسمعها .
مات أبي بعد سنة من خروجي من العراق . مات وترك الكثير من أسئلتي واقفة أمام بابه مثل مشرّدين ينتظرون وجبة طعام . أسئلة لها علاقة بأشياء لا يمكن البوح بها – تحت تأثير ثقافة العيب والحرام - فإذا مات صاحبها ماتت معه . هكذا. تذهب خصوصيّات كثيرة مع كلّ ذاهب .
عندما يموت الراوي تضيع الحكاية . يمكن أن تشطح مخيّلة راوٍ آخر محاولة في ردم الهوّة أو الفراغ . غير أنّ جملاً بعينها ستذهب دون عودة . ستبقى السيرة الذاتية مخرومة هنا وهناك . ولعلّ . بل في أغلب الأحيان . تكون الجمل المخرومة. المتساقطة . أو المنسيّة . هي جوهر الحكاية / السيرة . وهذا ما يجعل مخالب الدجاج حاضرة وبقوّة دائما : من أنا ؟ ولماذا ؟ والى أين ؟ ويظل النبش والرفش والبحث عن حبّة المعنى أو حبّة الجدوى قائما. خصوصا عند الذين لا يعرفون استلام الإجابة من غير ذواتهم . ومن غير تجاربهم الخاصة في العالم .



خيانة الجسد

إحتفاءً بستيف جوبز



أراني الآن مدفوعاً للكتابة في موضوعة نتحسّسها يومياً فيما حولنا كتجربة إنسانية . تناولها الشعراء والفنانون كثيراً . لكنّها تظل حيّة وتحتاج الى قراءاتٍ أخرى . تحتاج الى وقوفٍ أطول وأعمق .

لست هنا في صدد الكتابة عن علاقة (العقل بالجسد) . غير أنّ ما أريد الخوض فيه يصبّ في ذلك أيضا . أنا هنا أستخدم مفردة (العقل) بدلا من مفردة

(الروح) . ربّما لأنني أؤمن بالعقل أكثر . وأميل الى استخدام المفردة للتوضيح بصورة أدق عن ما أفكّر فيه تحديداً .

الجسد تابع للعقل . والعقل تابع للخيال . وكلاهما . الجسد والعقل قادران على إعاقة من يتبعان . كلّما كان جموح العقل كبيراً كلّما أجهد الجسد أكثر . جموح العقل يكشف عن عجز ومحدودية الجسد . الجسد قيد . ومع هذا فإنّ العقل يقف أيضا مثل مُحدّدٍ للخيال . العقل يحاول دائماً أن يجعل الممكن من الخيال عقلانياً . لكنّه يقف عند الحدود التي لا يتمّ



السيطرة فيها على الخيال . الخيال محاولة في فكّ قيود الجسد والعقل معاً والتحليق بعيداً .
الخيال حصان جامح والعقل هو اللجام . الخيال يقفز . أما العقل فيخطو بهدوء. العقل يبحث عن الارض التي يقف عليها . أما الخيال فلا يبحث الا عن فضاء .
صراعات عديدة داخل علبة واحدة هي الكائن البشري . تراه منتصب القامة يمشي في الأسواق دون أن تعرف ما يدور فيه من تنافس وعراك . الكائن البشري لغز لا يمكن الإقتراب منه إلا إذا أعطى هو بنفسه إشارة الدخول إليه . لعلّ حركاته تشير الى بعض ما يدور ويغلي فيه . لكنّها حتماً لن تفصح عن كلّ شيء . إن لم تكن تعمل على تغطية كلّ شيء أصلا .
الطبيعة والمجتمع معاً بحاجة الى جموح الخيال المتعقلن . وبحاجة الى جموح العقل الى أقصاه . لأنّ هذا الجموح تحديدا يمنح الطبيعة والمجتمع البشري الطاقة القصوى على القفز من لحظة زمنية الى أخرى . جموح العقل هنا هو أهم آليات إشتغال النشوء والإرتقاء في اللحظة الراهنة .
وبالتأكيد لا يكون هناك جموح للعقل إلا إذا إتّكأ على خيال جامح . وعلى رغبة حقيقية في القفز الى أعلى أو الى أعمق . وغالباً ما يتحقّق ذلك في كائن بشري فرد . لكن . وفي ذورة التوهّج . تطفو الى السطح إحدى أقسى عقبات العقل . متلبّسةً بثوب خيانة لا يمكن الفكاك أو النجاة منها . إنّها خيانة الجسد وتخاذله. عندما يعلن فجأةً . لقد إنتهى زمن الإقامة . فيبدأ الإنهيار السريع . الذبول حتى الجفاف . تنزلق القدم الى هوّة بلا قرار . ولا إصبع لنجاة العقل . ولا نافذة للخيال أيضا .
الذي أثار لديّ رغبة الكتابة في هذا الموضوع هو النهاية المأساوية لعقل بشريٍّ بطاقة عددٍ هائلٍ من الخيول الجامحة . إنّه عقل (ستيف جوبز). العقل الذي قفز بنا الى فضاءاتٍ من التقنية جعلت حياتنا أكثر يُسراً وسهولة . عقلٌ أقام طويلاً في المستقبل . وجلب لنا أشياء وأفكار من المستقبل ما كانت تخطر على بال . جعل العالم الذي قبله لا يشبه العالم الذي بعده . منحنا الإحساس ببشرية يمكن أن ترتقي الى أعالٍ لا



يمكن للخيال البسيط أن يرقى لها . لكن . وفي قمّة الألق والرغبة على القفز . إنتكس الجسد . الجسد الذي لم يتكيّف طويلا على الإقامة أو حتى على التحالف مع فايروس السرطان . لقد إنتشلنا
(ستيف جوبز) من عالم الى آخر . جاء في اللحظة المُثلى لنا . نحن الكسالى. لكنّه جاء فيٍ اللحظة الخطأ بالنسبة له . لو أنّه وُلد بعد خمسين عاماً أو مائة. لربّما كان هناك نافذة للنجاة . ولربّما كان هناك أمل آخر للحياة . وللعطاء .
لقد كنا محظوظين به ولم يكن محظوظاً بنا .
ليس من السهولة أن يتكرّر نموذج (ستيف جوبز) . أعتقد أنّ الحياة تخسر كثيراً عندما لا تستطيع الإحتفاظ طويلاً بمثل هذا النموذج .
في كلمة له قال : « الجديد هو أنت « قالها مخاطباً الأحياء . لكنّني . وبثقة أردّدها الآن : الجديد هو أنت . حتى وأنت تقفز من الحياة الى الموت . الجديد يبقى جديداً رغم خيانة الجسد .



أجنحة هائلة



لم يكن أسبوعاً هشّاً . على العكس تماماً . خرجتُ منه بأسماكٍ كثيرةٍ. سلّتي ممتلئة . الى درجة تيهان الكتابة .

أحبُّ الأيام حين تأتي مزدحمة بمعانٍ وتجارب متضادّة . يومٌ لا يشبه يوماً. وتجربةٌ لا تشبه أخرى . حركة وإختلاف يمنحان الحياة قيمتها القصوى . ويجعلاني أزداد شغفاً بها . رغم إرتفاع تلال الحزن .

كل يوم هو جناحٌ هائل .

لم يكن أسبوعاً هشّاً . كان مكتظّاً بالشعر . قراءة واكتشافاً وحياةً . مكتظّاً بالمعرفة . لقد إنفتح جهلي الى مدياتٍ أوسع . ها أنا أركض في حقول جديدة تكشف لي ضحالة ما أعرف .

مع كلّ خطوةٍ حواسّي تعلن عن قُصُرها وقصورها .

كان أسبوعاً مكتظّاً بالفرح أيضاً . بالحَنين . وبالألم .

لم يحدث منذ زمن طويل أن تكثّفت حياتي الى هذا الحدّ . فجأة . الجميل الشاعر عباس اليوسفي ينجو من جلطتين ويعود الى الضحك ثانية



وبصوت أعلى . دون معونة أنذال وشرفاء السياسة .
صوت أمّي على الهاتف : ستبكي عليّ حين أموت .
قلت : لماذا تريدنني أن أبكي ؟
قالت : لأنك نسيتني .
قلت : أنا أبكي الآن .
وفاةُ كائنةٍ جميلةٍ أشعر أنني جرحتُها دون قصد ذات مرّة . هكذا تجد نفسك عالقاً بإثم لم ترتكبه . وتصرُّ أصابعك إلا أنِ تشير إليك . إحساس بالذنب يقفز في داخلي مثل كنغر . لا أعرف طريقاً للنجاة منه .
صديق آخر يحاول النجاة من أصابع الآخرين التي تشير إليه بالإتّهام : « كنت سكراناً أتحدّث على الهاتف . وكانت الأخرى على قارّة أخرى . إلا أنّ زوجتي أصرّت على الإنفصال » . « الآخر لا يسمع . يتّهم فقط » . أظنّه سيقفز بعيداً لينجو. سيقفز الى قارّة ثالثة .
جارتي الأسترالية تزرع في ترابي سرّاً : « أشعر أنّ الموسيقى هي التي تهبني التديّن وليس التعاليم » . وأنها الآن تؤمن بشيءٍ ما لا تعرفه . شيءٌ لا ينبع من الكتب المقدّسة . بل ينبع من تجربتها في الحياة .
قلت لها : نحن الآن نجلس على مصطبةٍ واحدة .
تطلب جارتي الأسترالية أن أنتبه لزوجها لأنه سيكون وحيداً لثلاثة أيّام . فأكتشف أنّ جاري طفلٌ هائلٌ في السادسة والسبعين . يحتفظ باللعبة التي أهدتها له أمّه حين كان في ربيعه الخامس عشر . ولا يزال الى الآن ينام في نفس الغرفة التي ولد فيها .
قلت للجميل أحمد سعداوي : لو أنك كنت هنا لكتبت عنه رواية .
قلت لجاري الذي يشكو من نسيان بدأ يتسلّق أشجار دماغه : أحياناً نحتاج الى أن ننسى .
قال : بعض الأشخاص روايات تمشي على الأرض .
قال : ربّما لأنك من العراق تحتاج الى ذلك . لكنّنا في أستراليا لا نحتاج أن ننسى .
كان هذا درساً في إختلاف الثقافات . أسبوعٌ مشحون بالرؤى . رؤىً لا أزال قلقاً من تأويلها . وأحبّ إنفتاحها



والجريان معها . هكذا . رأيتني أحتضن الكون وأضع لساني على شفتيه .
ورأيت أدونيس منشغلاً في قراءة كفّي . أسبوعٌ كنت فيه مُنْصِتاً عميقاً لألم امرأةٍ تحاول كسر الروتين الغبي الذي يخلقه التقليد والإعتقاد . كنت نافذَةً وأُذُناً لها . كان الصوت يتسابق مع الدمع. فجأة تنهار سدود العين . وتنخسف الضحكة في إنمحاء مرعب. حزن يكتسح الإسفلت والأرصفة. حزن يريد أن يكون وحيداً . لغياب الأمل. أظنّني كنت الإصبع للغريق . كتبتُ تقول لي : « لي أصدقاء كثيرون . لكنّك الوحيد الذي يسمعني دون محاكمة « .
رأيت عيوناً جوفاء تراقب بفضول غبيٍّ . تتجسّس وتدّعي . ورأيت عيوناً تستدير بعمق وبراءة لا ينبعان الا من جمال داخلي باذخ .
في جلسةٍ خاصّة جداً قرأتُ مجموعتي (حريق) على الجميل وديع سعادة . وأكرمني بقراءة مجموعته الأخيرة عليّ . وكان الجميل محسن بني سعيد يؤثّث الجلسة ضيافةً وتصويراً . قال وديع : « في بيتي كتب سركون بولص قصيدته « آلام بودلير وصلت « .
كان أسبوعاً لحواراتٍ عميقة على الفيس بوك . وحوارات حميمية وحنونة. وأخرى كنت أطفر مثل كنغر عنها . أطفر بعيداً . لأتقيأ . وكنت أتساءل : هل يعلم هذا الذي يتحدّث أنني أتقيّأ من كلماته .



التخطيط للصدفة



ثمّة ما يدفعني الآن للكتابة عن موضوعة تبدو للوهلة الأولى كما لو أنّها تتمّ بإعتباطية تامّة بعيداً عن أيّ تخطيط أو قصدية . وأعني تحديداً موضوعة (الصدفة) . لكن ما يتراءى لي الآن هو عكس ذلك تماماً. فالصدفة لا تحدث ولا تتمّ إلا بتخطيط مسبق . لكنّه تخطيطٌ يبدأ من نقطة واضحة ولا يشير الى خاتمة . تبقى الخاتمة إحتمالاً من ضمن إحتمالات عديدة . وعليه فما يحدث تحت اسم (صدفة) هو أمرٌ قد تمّ التخطيط له سلفاً . وقد يكون التخطيط بعيداً عن القصد . لكنّه في زاويةٍ منه يتضمّن ما نحن سائرون إليه دون قصد .

إذن . أريد أن أقول هنا . أن لا صدفة هناك على الإطلاق . لكن . هذا لا يعني أنّني أقول بالخيوط التي تحرّكنا وكأنّنا دمى . على العكس تماماً . ما يحدث يشير بصراحة تامّة الى قدرتنا على صناعة وخلق حياتنا أيضا .

قد تبدو هذه المقدمة غامضة أو غائمة . وهنا أريد أن أضرب أمثالاً تكشف جوهر ما أقول .



ورد في نصّ قرآني : " وجئت على قدر يا موسى " . قيل في تفسير المجيء المُقدّر: " معناه جئت على الوقت الذي يُوحى فيه إلى الأنبياء وهو على رأس أربعين سنة . وقيل على المقدار الذي قدّره الله لمجيئك وكتبه في اللوح المحفوظ . والمعنى جئت في الوقت الذي قدّره الله لكلامك ونبوّتك والوحي إليك " . لا أريد أن أتطرّق الى البعد الديني للنصّ . لكن الى الزاوية التي تجعلني أعتقد تماما . أنّ نشاطنا الذاتي كأفراد يقود الى خلق وجودنا في الحياة . وفي العالم .

لم ينمو السؤال الديني عند موسى - سواء في نصّ التوراة أو القرآن - الا بعد أن التقى بشعيب . الإلتقاء بشعيب فتح له نافذة إحتمالات النبوّة .

من المستحيل مثلاً أن أربح جائزة اليانصيب أو اللوتو دون أن أشتري بطاقة مسبقاً. فهكذا صدفة لم تتحقّق من قبل لأحد . ولن تتحقّق أبداً.

أنا معنيٌّ بالكتابة . وللكتابة إشتراطات ومطالب . تدفعني في واحدة من تمثّلاتها الى البحث والقراءة . وهذا يعني آنني أتمدّد داخل الإحتمالات التي تؤسّس للصدفة . فألتقي بنصوص وكتّاب لم يكن لي لألتقيهم لو آنني سلكت غير هذا الطريق .

وبالتأكيد فإنّ فرص الصدفة لن تتوقّف على حدود النصوص والكتّاب بل تتجاوزها الى القرّاء أيضا . إذن فسلوكي هذا الطريق يفتح لي باب إحتمالات كثيرة . يدفعني أن أتنقّل في مساحات هي كلّها فرص للإلتقاء بما يمكن أن يزيد ويعمّق من رغبتي على مواصلة الطريق ذاته .

هذا يعني . آنني ومن دون قصد محدّد بالذات أتّجه الى عدد من الصدف التي يخلقها الطريق . والتي في النهاية ستؤثث لي حياتي . وتمنح شخصيّتي عمقها وخصوصيتها .

في السادسة عشرة من العمر كانت الأسئلة الوجودية قد جرفتني تماماً . من أنا؟ من أين ؟ وإلى أين ؟ إحساس بالغربة وبالوحدة لا يتجسّد إلا عند النافرين من أيّ أجابة جاهزة . لم أكن أعرف تجربة أبي العلاء المعرّي بعد . حتى ألقى مدرس اللغة العربية القول على طريق التهكّم من عبثيتنا نحن الطلبة المشاغبين : " لو بيكم خير كان سمعتوا صرخة المعرّي :

" صاح هذي قبورُنا تملأ الرحبَ فأينَ القبورُ من عهدِ عادِ "

ضحك الآخرون بينما تقنفذتُ أنا على الصرخة . شيءٌ ما إخترقني الى النخاع . جعلني أحفر في المكتبات عن أيّ شيء للمعرّي . أو عنه . والمعرّي بدوره قادني الى الزهاوي . ثمّ تواصل حبل البحث حتى هذه اللحظة .



لم يكن ما حدث شيئا إعتباطياً . كنتُ أرضيّة خصبة لنموّ صرخة المعرّي . ثمّة علائق وخيوط تنسج الحياة وتجعلها أكثر قيمةً واعتباراً .
ولأنّني لست الوحيد الذي يعيش في هذا العالم . أو في هذه الحياة . ولأنّ ثمّة أخرين لهم رغبات مقاربة لرغباتي . فإنّ ذلك يزيد من سعة الإحتمالات المفتوحة أمامي . أي أنّ التوفّر على رغبة واحدة سيقود حتماً الى خلق إتّجاه . فإذا ما كانت هذه الرغبة مؤثّثة بحركة وبحث فإنّ فرص خلق الإتّجاه ستكون أكبر حتما .
وجودنا داخل أفكارنا . ووجودنا مع أفكارنا في العالم يتيح لنا عدداً مفتوحاً من الإحتمالات التي نطلق عليها اسم الصدفة . والتركيز في هذا الأمر يكشف لنا أن لا وجود للإعتباطية في حركة أيّ شيء . أي أنّ هناك قصداً مُتَضَمّنا داخل كلّ إحتمال . قصداً نابعاً إمّا منّا . وإمّا من الآخر . لأنّنا في النهاية موجودون معاً في الحياة . وفي العالم .
وبهذا . فأنا أخطّط للصدفة التي سألتقيها أو تلتقيني على الطريق .



حوار دون تخطيط



كتبتُ جملة باللغة الإنجليزية على صفحتي في(face book)
نتج عنها حوار لم أخطّط له . بين (سليمان جوني) وبيني . حدث إرتجالا
تماماً مثل أمسياتنا الشعرية التي كنّا نقيمها عندما كنّا في بغداد .
هاجر (سليمان) إلى الدنمارك منذ عام ١٩٩٨ . أما أنا المتأخّر جداً فإلى
أستراليا منذ عام ٢٠٠٥. هذه الهجرات لم تمنع إتّصالنا عبر المراسلة أو عبر
الهاتف . ولأنني لم أكن أمتلك هاتفاً أرضيّاً في بغداد . كتب لي سليمان
مرّة أنّه سيتّصل بي على هاتف (فرج الحطاب) . وحدّد الموعد بعد شهر
من تاريخ كتابة الرسالة . في يوم كذا عند الساعة الثامنة مساءً .
كانت مدينة الثورة يومذاك ملبّدة بنقاط التفنيش العسكريّة . وكنت
متخلّفاً عن الخدمة الإلزامية فاضطررت الى قطع المسافة الفاصلة بين
بيتي في قطّاع (١٠) وبيت فرج الحطّاب في قطّاع (٣٨) مشياً . وبالفعل
تمّ الإتّصال وتحدّثنا لقرابة ساعة . كان حديثاً في كلّ شيء وعن كلّ شيء.
هو يقول تكلّم أريد أن أسمع صوتك . وأنا أقول تكلّم أنت أريد أن أسمع
صوتك أنت . فلمّا انتهت المحادثة . بقيت مع فرج الى منتصف الليل . فلما
أردت الرجوع الى البيت قال : « لن أتركك تذهب وحيداً . لن أنجو من تأنيب
(بشرى) أبداً « . وبالفعل أوصلني



(فرج الحطّاب) الى بيتي وطرق الباب . فلمّا خرجت بشرى . قال لها : هذا (جمال) وصل إليك سالماً مسلّحاً .

وأنا هنا أضع الحوار كما هو موجود على صفحتي في (face book) .

» I and God have the same dirty mind »

سليمان جوني : كيف يمكن للذي يبتكر الجمال أن يحمل عقلاً قذرا ؟!
جمال الحلاق : لعلّها الضرورة الشعرية كما يقولون .
سليمان : ربّما نحن في حاجة الى ترجمة كلمتي : قذر وعقل .
جمال : يا سليمان . الكلمات كلّها بحاجة الى إعادة قراءة .
سليمان : أنا أفهم الكلمة ضمن النسق .. الإجتماعي .
جمال : أنا أفهما وفق تجربتي في الحياة .
سليمان : تجربة الحياة تعيش داخل النسق أيضا .
جمال : هناك دائماً شيءٌ خاصّ جداً لا يمكن تأطيره بالنسق .
سليمان : إذن هي (الكلمة) لا بد أن تكون قد أخذت تجربة الحياة من الخارج. وتجربة الحياة من الداخل أيضا .. إذن هو نسق يبدأ من الشخصي وينتهي الى العام .
جمال : نحن من يضخّ فيها المعنى والقيمة فيأخذها المجموع لاحقا .
سليمان : نحن مفسّرون .. (للوجود) ولا نقوم بابتكاره ..
جمال : التفسير بحدّ ذاته إبتكار . وهو لا ينتج إلا بانتباهةٍ خارجةٍ على النسق. التفسير هو ليُّ عنق النصّ . إزاحةُ الضوء عن المركز.
سليمان : أنا قصدت . بأنّنا نفسّر حالةً موجودةً أصلا . أي بعبارة أخرى أنّ التاريخ يتحرّك من حالةٍ الى أخرى. وما يقوم به المبدع هو تفسير هذا التغيّر ... أي أنّ كلّ كتابة إبداعية هي إجابة عن سؤال الحياة .
جمال : بالتأكيد نحن لم نصل بعد الى حدّ خلق المادّة مثلا . غير أنّ وظيفتنا هي خلق معنىً يحتوي العالم الذي نقيم فيه .
وبهذا فنحن نعيش داخل أفكارنا عن العالم . وليس في العالم .



ولكنما داخل الكلمة هو الذي يتغيّر . ينوجد بطريقة أخرى . الكلمات هي ذاتها في اللغات .. ولكن كيف نتعلّم اللغة ؟ أقصد أنّ الجوهر هو المتغيّر .
جمال : نحن نتّفق هنا .
سليمان : ولكن بعد سنوات ستقول الفيزياء غير ما تؤمن به هي نفسها الآن . وفي هذه الحالة يجب علينا العودة الى التفسير مرّة أخرى .
جمال : نعم لأنّ الإنسان يعيش داخل أفكاره عن العالم . وما تسمّيه الجوهر أسمّيه الدلالة والمعنى .
سليمان : أفكاره الموجودة من الخارج والداخل ؟؟ أليس كذلك ؟
إذن الكلمة هي نتاج التحوّل الشامل . الخارج والداخل !!
جمال : الناس ثلاثة . واحد يقيم في الخارج . وآخر يقيم في الداخل . وثالث يقيم في ما بينهما . أي أنّ هناك تطرّفين . وثالث يمسك العصا من الوسط .
سليمان : أنا بالنسبة لي لا أحبّ القفزات التي تحدث في التاريخ . أعتقد أنّها كارثية . للوصول الى الأرنب الذي في الغابة حتماً سندوس على كثير من الأزهار .
جمال : كيف تصطاد الأرنب أيّها الشاعر ؟
سليمان : سأحاول بكلّ جهدي أن أعرف أين أضع خطوتي القادمة . لا أريد قتلى في الطريق .
جمال : لا يمكن مع اللغة . لأنّها حقل ألغام .
سليمان : حقل فزّاعات ... وليس حقل الغام .. هكذا أفهم اللغة .. لا يمكن لها أن ترعبني . سأفرد جناحي وأهبط . وألتقط الحبّات كلّها .
جمال : إذا كانت اللغة حقل فزّاعات فهذا يعني أنها أقل خطورةً . وبالتالي فإنّ الوصولٍ الى إمساك الأرنب سيكون سهلا .
فخٌ هنا وفخٌ هناك . ولا نحتاج الى أن ندوس الورد .
سليمان : لهذا قلت سأحاول بكلّ جهدي أن أعرف أين أضع خطوتي القادمة .
جمال : ما نحتاجه حقّاً أن نفهم معنى العقل الذي نقيم فيه . لأنّه في النهاية سيكشف القفص الذي نحلّق داخله .



سليمان : نعم .. صديق .. أنت على حق .. نحتاج الى معنى العقل .. هذا الذي يسيل من بين أصابعنا كلّما اعتقدنا أنّنا رفعناه من الوحل .

جمال : هل تعرف . كنت أفكّر في شيءٍ . فأمطرت السماء . فابتسمت في داخلي . ورحت أردّد هذا السطر .

سليمان : يخافون المطر

كأنّهم رسموا بألوان مائية ..

من قصيدة لك في (صعادات) . هل ما زلت خائفاً من المطر ؟؟

جمال :

أتجدّد تحت المطر
كلوحةٍ مائية

لأنّني كائنٌ مطري
الغيوم وحدها
تمشي
في جنازتي .

سليمان : عزيزي الحلاق . أسعدني أنّني تحاورت معك . هذا يوم جميل . أقترح أن تكتب مادّة من خمسة أسطر . ونتحاور حولها عندما نتصادف . وبنفس الطريقة . الآن عليّ المغادرة . لديّ موعد مهم .. كن بخير أيّها الجميل .

جمال : لقد أسعدني ذلك حقّاً. كن بخير .



قُنفذٌ في التنّور



من محاسن الذاكرة أنّها لا تفتح أبوابها دفعة واحدة . لأنّها لو فعلت ذلك لاكتسحت العقل تماماً كما يفعل التسونامي بأكواخ الفقراء.
ولما سلم أحدٌ منّا من الإصابة بالجنون . هكذا . يقف الفرد في منتصف تقاطع الطرق . ليتلفّت يُمنى ويُسرى وأسفلاً وفَوْقاً في وقتٍ واحدٍ معاً . تلفّتٌ بلا اتّجاه . لكن . ألا يُعدّ العقل ضرباً من الجنون أيضاً . من وجهة نظر الطبيعة؟!
يحدث . وأنت تمشي أن ترى بيتاً . جداراً . شارعاً . شجرةً . إنساناً . لوناً . صوتاً. شيئاً ما لا على التعيين يقتلعك من اللحظة والمكان الذين أنت فيهما . ليرميك في مكان وزمان بعيدين عنك . الى درجة أن يكونا البداية الأولى مثلا .
كلّ شيء في الحياة يصلح أن يكون سبباً للتذكّر .

يحقّ لي أن أشطح هنا . وأن أمتطي حصان التخيّل أيضاً . فأرى في ما أرى.



أنّ الجنّة التي يتحدّث عنها الناس - في كلّ مكان على الأرض - ليست إلا ذكرى لكائنٍ بعيدٍ . فَقَدَ حياةً كانت تمثّل بالنسبة له ذروة الطمأنينة والهناء . وأنّ صِراعاً تمّ بين صاحب الجنّة تلك وأحد العاملين فيها . تسبّب هذا الصراع في عمليات تهجير قسري . كان ذلك المتذكّر أحد الضحايا المهجّرين .
وبمثل هذه الشطحة . وعلى مثل هذا الحصان . يمكن قراءة كلّ ما وصل إلينا من خرافاتٍ وأساطير على أنها في الحقيقة لا تخلو من أساسٍ إجتماعي. كان هناك. في البداية الأولى . ثمّ لسببٍ ما بقي الأساس هناك . بينما وصلت البشرية الى هنا . الى اللحظة الراهنة .

لا أستطيع أن أُشبّه المعرفة البشريّة بالشجرة . وأنّ البدايات الأولى كانت جذوراً لها . لأنّ بعض أشكال المعرفة تمتلك قدرة الإنفصال التام . وهذا يعني في حالة التشبيه بالشجرة علينا أن نقول أنّ ثمار هذه الشجرة تمتلك أجنحة . وأنها قد تغادر الشجرة في أيّة لحظة . أي أنّ المعرفة البشريّة شجرة تُثمر عصافير .

يحدث أيضاً وأنت تتحدّث . كلمة تلقيها دون أن تقصد . تفتح عليك أبواباً من الذكريات . تفاصيل لم تكن تعرف أنها رسخت فيك تحت كلّ هذا الركام من الأحداث . لأنها حدثت بتلقائية هائلة وعبرت . أو هذا ما توهّمته . لكنّها وهي تنفض عنها غبار النسيان تشير الى أنها لم تعبر . بل إستوطنت في أعماقك البعيدة . في إنتظار اللحظة التي تعلن فيها عن وجودها بكلّ تفاصيلها .
حدث ذلك معي وأنا أتحدّث مع الجميل (باسم فرات) على صفحة الفيس بوك . كنت أقصّ عليه قصّة إقتنائي كلباً صغيراً . فقال : عهدتك تحبّ الطيور .
قلت على السليقة : وأحبّ القنافذ أيضا .
لم أكن أعني الكلمة . أردت فقط أن أقول أنّني أحبّ الحيوانات كلّها . غير أنّ اللاوعي وضع كلمة (القنفذ) على لساني . لم أقصد الكلمة .



وقصدها اللاوعي .
سرعان ما انفتحت الذاكرة على تفاصيل دقيقة لم أكن لأتصوّر أنّها كامنة في ذاكرتي . قصص دارت هناك في قرية الزهيرات قبل أكثر من خمس وثلاثين سنة. عندما كنت طفلاً دون العاشرة بقليل . وكانت أمي وجدّتي تخبزان الخبز في تنانير طينية .
كان تنّور جدتي الطيني فوق سطح المنزل ذي السقف الخشبي . تحيط به أكداس من (كارات) شدّات الحطب . وكانت جدّتي . كإجراء طقسي يومي. تقوم بتنظيف باطن التنّور من بقايا خبز الأمس . وكنت بدافع الفضول أطلب منها أن أقوم أنا بذلك أحيانا . كانت تنظّف باطن التنّور بسعفة مبلّلة .
وكان يحدث في فصول الشتاء أن يكون هناك قنافذ أو أفاع بالقرب من التنّور أو فيه . ذاك أنّ البرد يدفع القنافذ أو الأفاعي الى أن تنام في الرماد الدافئ . وكثيراً ما سمعنا بأنّ أفعى التفّت على نفسها نائمة في رماد التنّور . وقد حدث أن سمعت جدّتي أو أمّي لأكثر من مرّة وهما تحرّكان الرماد قبل إشعال النار تصيحان : قنفذ .
وكنّا كأطفال . حين نسمع ذلك . نركض إليهما لنرى القنفذ وهو يخرج من فتحة التهوية التي في أسفل التنّور الطيني . وبالتأكيد كانت جدّتي تدفع القنفذ بالسعفة المبلّلة لتخرجه من التنّور . فكان يخرج مسرعاً بأشواكه المنتصبة ليخترق الفتحات الموجودة في (كارات) الحطب . ويختفي .
لا أذكر أنّ أحداً منّا . نحن الأطفال . تجرّأ على الإقتراب من القنفذ . كنّا نخاف من أشواكه المدبّبة ومن وجهه المدبّب أيضاً . لذا كنّا نراقبه من بُعد . كيف يخرج مُنتصب الأشواك . ومُنكّس الرأس . من فتحة التهوية . وكيف يختفي تحت أكداس الحطب .
قصصت بعض هذا لباسم وقلت له : لا بدّ أنّك تمتلك شيئاً من ذلك في ذاكرتك. لأنّك قرويٌّ أيضا .
قال : ليس في ذاكرتي مثل هذه القصص.
ثمّ طلب منّي أن أكتبها . وأظنّني قد فعلت .



مشاعر تبحث عن عقل



أريد الآن أن أتحدّث عن تجربةٍ حيّةٍ لها جذورٌ عميقةٌ وقديمةٌ جداً .
وأقصد بالتحديد تجربة البحث عن قبر بديلٍ هنا لقبر بعيد هناك . البحث عن رمزٍ مشتركٍ يُحيي الصّلة . بل يجعلها أكثر حياةً . وأكثر حيويّةً على البقاء والنمو .
لعلّ أشهر نموذج حافظت عليه الذاكرة العربية بخصوص هذه التجربة هو بكاء (متمّم بن نويرة) كلّما رأى قبراً .
كانت القبور كلّها تذكّره بقبر أخيه (مالك بن نويرة) القتيل دون أن يستطيع الأخذ بثأره . أو حتى مقاضاة الذين قاموا بقتله . لأنّهم كانوا على رأس السلطة يومذاك . فقد تمّ قتله على يد (ضرار بن الأزور) وبأمر من (خالد بن الوليد) تحت ذريعة الردّة . والإعتراض على القتل ردّة عقابها القتل أيضاً . بينما تذكر كتب السيرة والأخبار أنّ زوجة مالك « كانت بها مسحة من جمال « . وأنّه قال لخالد وهو يشير إليها : « بهذه تقتلني « مشيراً الى السبب الحقيقي وراء عملية القتل . وأنّ خالداً كذّب قوله . غير



ه أمر بقتله . وتزوّجها في نفس الليلة !
ان (متمّم) كثير البكاء على أخيه . ويمكنّنا بسهولة أن نتحسّس
انة فعل القتل عبر البكاء . كان البكاء تذكّراً وتذكيراً مستمرّاً في نفس
وقت . حتى عاتبه بعض الناس على ذلك . ربّما محاولة في إسكات الإدانة.
أجابهم بأبياته الخالدة :

وقالوا أتبكي كلّ قبرٍ رأيتَه
لميت ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم إنّ الأسى يبعث الأسى
دعوني فهذا كلّه قبر مالك

ا يهمّني هنا ليس الإدانة فهذا موضوع آخر . لكن هذا الإحياء للتذكّر
لّما شاهد قبراً . وكأنّ الموت يذكّر بالموت . وكأنّ القبور كلّها قبر واحد .
كأنّ الإنسان هذا الكائن اللغز ليس إلا هيكلاً واحداً لذكرى تحاول أن تمتدّ
بر التناسل والتكاثر.
نت أفكّر في ذلك وقد بَلَغَنا خبر موت أحدنا في بغداد . كائن جميل آخر
نتمي الى الفطرة . بل عاش حياته كلّها على نقاء الفطرة . طيّبٌ الى حدّ
ن تتّهم نفسك . إنّه الخال الوحيد لبشرى هذه المرّة .
لأنّ الخبر ليس كالموت . ثمّة أشياء كثيرة يتمّ السكوت عنها . ولا تنقلها
كلمات . يبقى الموت شيئا آخر . أكثر ثقلاً . وأكثر حضوراً أيضاً من البكاء
ذي ينقله عبر هاتفٍ نقّال . كلّ هذا جعل التعامل مع الأمر فوق مستوى
قدرة . مشاعر كثيرة غامضة تتدافع فجأةً على الحواس كلّها . نكاد أن
سمع إرتطام رؤوسها بالجدران . تبحث عن نوافذ للخروج .
انت بشرى بحاجة الى قبر تحتضنه وتبكي . بحاجةٍ الى قبر تتحدّث معه.
برّ نصفه في باطن الأرض ونصفه فوقها . الشاهدة إمتداد للقبر داخل
حياة . الشاهدة نوع من إدامة الصّلة . تربط الحيّ بالميّت . وتؤسّس لحوارات
ير منقطعة.
لأنّنا - ولسوء حظّنا - نمتلك هذا الجذر في سيدني . ذهبنا معا الى حيث
بر العزيزة (ليلى محمد) . وكالعادة دائماً . أخذنا وروداً حمراء .
ين أحمر أيضا .

ولأنّ الخبر وصلنا عند منتصف الليل . ذهبنا مع الفجر . فكنّا أوّل الزائرين. كانت القبور كلّها واحدة . ومع هذا ذهبنا الى قبر ليلى . لأنّه قبر أحبتنا هنا وهناك . هكذا أصبح قبرها مزاراً لنا نؤمّه في الفرح . كما نؤمّه في الحزن .

قبل أيام قليلة كنّا في زيارة الى قبرها (بشرى وأنا) لنحتفل معها بيوم عيد المرأة . وقبله بأكثر من أسبوعين ذهبنا لنحتفل معها أيضاً بيوم الفالنتاين .

المقبرة ليست للبكاء فقط . إنّها للتنزّه أيضاً . خصوصاً حين تكون مليئة بحدائق تجري من تحت أشجارها الأنهار . مع أحواض مائية هنا وهناك ترفل بأسماك ملوّنة . بينما " العشب منديل الربّ " على حدّ تعبير (والت ويتمان) يكسو الأرض .

الذي فاجأنا هذه المرّة وقد ذهبنا من أجل أن نفتح لمشاعرنا نوافذ الحزن. أنّنا وجدنا أثر من سبقنا إليها . ووضع على شاهدة القبر دعوةً لحفلةٍ عامّةٍ عن المرأة بذكرى عيدها . كان الإعلان بثلاث لغات (العربية والكردية والإنجليزية) . هكذا يتحوّل قبر (ليلى محمد) الى لوحة إعلان للحياة أيضاً . قبرٌ حيٌّ . فمن يؤمّه يجد شيئاً يخصّ الحياة .

ذهبنا الى قبرها . لنكون قريبين من قبر (سلمان حسن) خال بشرى الذي دُفن هناك في المقبرة الجرداء في النجف . ذهبنا الى قبر ليلى لأنّ القبور " كلّها قبر مالك " كما قال ابن نويرة . ذهبنا لنكون قريبين من طقوس الموت . تقودنا صرخة (المعرّي) :

" جسدي خرقةٌ تُخاط الى الأرض
فيا خائطَ العوالم خِطْني "

كان العشب قد بدأ يحتضن بعضه بعضاً على ترابها . كما لو أنّ يد روّافٍ قديرٍ تروف بخيوطٍ خضرٍ الفجوة التي خلقها الدفن .

الإحتفاء بقبر ليلى يعوّض تماماً عن الإحتفاء بقبور أحبّتنا هناك . ويمنحنا أيضاً القدرة على البوح بانفعالاتنا . ويجعلنا نتفهّم كيف يمكن للفرد أن يتأقلم مع ألمه في البعد - البعد الذي ينفتح في الحزن كبئر - كيف يُعقلن ألمه . يمكنّني أن أخاطب (بودلير) الآن : لقد جَعَلْنا ألمنا عاقلاً يا بودلير .



لقد روّضناه برغم أنفه .

كنت أقرأ ما تمّت كتابته على الشواهد المجاورة . الذي أثار إنتباهي أنّ الشواهد كلّها كانت تقول : أنّ الموتى كانوا محبوبين ومحترمين من قبل الجميع . فجأةً . لا يخرج أحد من الحياة إلا ويترك عيناً تبكيه . عيناً تحاول إحتضان أفوله الأخير . وللحظةٍ قفز الى ذهني قول (اللورد بايرون) وهو يصف جثّة بائعة جسد :

" الموت غسل الأخطاء

لقد كانت إنساناً يا أخي

كانت إنسان "

كنت منشغلاً مع هذه الإنتباهات بينما كانت بشرى تكتب في دفترها الشخصي سؤالها الفذّ :

" هل

تصحّ لنا زيارة قبور الأصدقاء

في المنفى

نيابةً عن قبور

من .. يموتون داخل الوطن

دون أن نستطيع حضور

مراسيم وداعهم الأخير ؟ "



ضفادع جواد سليم



غالباً ما كنت أصاب بحالاتٍ من الإكتئاب الحاد والمفاجئ هناك في بغداد . خصوصاً في ليالي الشتاء الباردة والمظلمة . وغالباً ما كان يحدث لي ذلك عندما يبدأ غضب الرعد الرهيب بالإنهيار من السماء الى سطوح المنازل. فأتقرفص مثل جنين . ملتصقاً بجدار الغرفة الضيّقة . أحاول الدخول فيه . ليس خوفا من الرعد كما كان يشعر صديقي (جيمس جويس) . بل كان الرعد يذكّرني بغضبي المترسّب فيّ الى النخاع . ويجعلني أشعر بسلبيّتي في عملية التغيير .

ولكثر ما تكرّرت هذه الحالة معي . أصبحت (بشرى) تعرف إنطفائي الفجائي. فتطلب مني أن أخرج من البيت الى الشارع . أن أتجوّل وحيداً في الفضاءات المعتمة لشوارع مدينة (الثورة) . لذا كنت أرتدي ظلام معطفي الأسود وأخرج تحت المطر . لا أحد غير الظلمات تتلقّفُ تحت إنهيارات قذائف الرعد .

كانت (بشرى) تتوقّع أنني بخروجي الى الشارع سوف أكتب نصّاً . أكتب شيئا جديدا يجعلني أتجاوز كآبتي . أو على الأقل يشغلني عنها . يحيلها الى ظلٍ . أو الى رماد ولو الى حين . فقد حدث ذلك مرارا . كانت الكتابة علاجاً للكآبة . وأظنّها كانت نافعة جداً معي في تجاوز الضيق المتصاعد .



مرّة . كنت أتمشّى وحيداً . وتحت شعور هائل بالغربة . تحت مطر كثّ . وظلمات تتراكم كأنّها ظلمات الرحم . كتبت :

" الى الشارع
كلّما اشتهيت أمّي
لا جليس
سوى الأرصفة
من أين الدرب
الى وطني ؟ "

كم كنت أشعر بالغربة في بغداد . وكثيرا ما كنت أخرج عند أنصاف الليالي . وأصعد أيّ سيارة تتّجه من منطقة (الجوادر) حيث كنت أقيم في قطاع (١٠) الى منطقة (الباب الشرقي) . فقط لأجلس تحت (نصب الحرية) . كان النصب متنفّسي الوحيد بعد الكتابة . أجلس تحته وحيداً . وبالقرب مني سيارة شرطة. لم يكن (جواد سليم) بعيداً . كنت أجلس تحت ضفادعه تماما .
كان العمّال من أهالي مدينة (الثورة) يمرّون بالقرب من النُصُب لحظة الإنشاء - وقبل أن يسقط (جواد) أثناء رفعه لإحدى القطع - يراقبون انهماكه وانهمامه في مواصلة العمل . ويستغربون من أشكال منحوتاته. كان بعضهم يراها ضفادع . حتى أنّهم كانوا يسألونه : " شنو هاي العكاريك ؟ "
فيجيبهم ضاحكا : يوما ما ستفهمونها .
لا يزال بعض البلداء الآن يرى أنّ (جواد سليم) إستخدم طلاسم سحرية في أشكال منحوتاته . وإنّ إقامة النصب في قلب بغداد جعل تاريخ الأخيرة صاخباً بين إنقلابات عسكرية وحروب دون معنى . وأنّ بغداد لن تستعيد استقرارها وطمأنينتها إلا برفع هذه الطلاسم منها . وبالتأكيد فإنّ مثل هؤلاء لا يمكن محاورتهم إلا بنقيق ضفادع حقيقية . فإنّها اللغة الوحيدة التي يفهمون . أو هذا ما أتوقّعه على الأقل .
سقط (جواد سليم) وهو يحاول مساعدة أحد مساعديه في عملية



تثبيت بعض أجزاء النصب . ومات قبل أن يرى الإفتتاح . كان يحلم برفع لافتة للحرية في قلب بغداد . لافتة تؤرشف لحركة التحرّر وتؤرشف لرغبة الخروج على الروتين اليومي . وقد صادف أن حدثت الجمهورية في العراق عام ١٩٥٨ . وصادف أن تطابقت رغبة الحكومة آنذاك مع حلم (جواد) .
لم يكن العمل دون منغّصات . فهناك الطفيليّون . وهناك المتنافسون الذين أرادوا أن يقوموا بالعمل دون (جواد سليم) . وتزايد ذلك مع ابتداء تشكّل الفكرة . ومع بداية دخول الفكرة في قالب الإنجاز . وكم إحتالوا ليجعلوا للزعيم وجهاً في نصب الحريّة غير أنّ جواد - الخارج على لحظته التاريخية - أصرّ على أن يكون النصب عراقيا . أراده هويّة للعراق وليس لزعيم . كائناً من كان .
ومن حسن حظ (جواد) أنّ الزعيم آنذاك كان يمتلك (حياءً) يمنعه من التصريح. كان المحيطون به يدفعونه . منهم النحّات (خالد الرحّال) تحت وطأة الإحساس بالغيرة والتنافس . وكان الزعيم في حديثه يلف ويدور محاولةً منه في إفهام
(رفعت الجادرجي) - رئيس اللجنة المشرفة على متابعة إجراءات إقامة النصب آنذاك - الذي مارس (خباثته النقيّة) الى أقصاها حين أصر على عدم فهم ما يريد منه بالضبط .
قال الجادرجي في لقاء تلفزيوني : كان الزعيم (عبد الكريم قاسم) يستحي أن يصرّح برغبته . ويشرح لي دوره في قيادة ثورة ١٤ تموز . ويلف ويدور ثمّ يقول لي : هل فهمت يا رفعت . فأقول : لم أفهم يا سيادة الزعيم .
هكذا . بسبب (حياء) الزعيم . وبسبب (خباثة) الجادرجي . تمّ إنقاذ نصب الحريّة من التحجيم . وتمّ إنقاذ حلم (جواد) أيضا من التحزّب والإنحياز .
بهذه الطريقة أصبحت (ضفادع جواد سليم) تشير الى العراقيين جميعا.
أصبح النُصب عراقيا . لا يؤرشف للحظة واحدة بل لتاريخ طويل ومفتوح من هنا يمكن أن يشعر الجميع بالإنتماء إليه . ويمكن أن يرى كلّ فرد صورته فيه . فهناك الضحيّة. وهناك الحزن . وهناك صهيل الإحتجاج . والرغبة في تحطيم القضبان . هناك الإنطواء والمناجاة . إنحناءة الأم وصرختها التي أكلت شفتها العُليا .



كان (بيكاسو) يتمنّى أن يصل إنفعال الصرخة في لوحته الى حدّ إلغاء الشفة العُليا . فلم يفلح في بلوغ ذلك حتى في لوحته الهائلة (الجورنيكا) .

إلا أنّ (جواد سليم) بلغها في صرخة المرأة . الأم . أمّ الضحيّة . وكم تجسّد الحنين والحنان معا في إنحناءة الأم على إبنها . وكم كان عميقا حين جسّد قلق الثور وتوثّبه للإنقضاض قرب الحافة . هكذا يتحوّل الشعب بأكمله الى مصارع ثيران. أمام حكومة ومصير وتقاليد وأعراف تتجسّد في ثور هائج . لقد كان نصب الحريّة ولا يزال حركة هائلة يمكن سماع الصهيل والخوار والصراخ والمناجاة كلّها معا في لحظة واحدة . لأنّ الحرية في النهاية مخاض طويل غير منتهٍ . ولادة يسبقها صراخ ونحيب عاليين. نحيب يجعل الآلهة تفرّ الى السماء وتحتمي (كالكلاب) بعرش (آنو) كما تقول أسطورة (إتراخاسيس) البابلية .

كنت أسمع كلّ ذلك وأنا أجلس في ظلام دامس تحت النُصب . تنزل الأصوات كلّها مع المطر . أصوات مبتلّة . ومبتلاة أيضا . وكم كانت تقف سيارة الشرطة . تماما كالثور على حافة الجدارية . قلقة تراقب جنوني . وتراقب توحّدي الليلي مع الصراخ .

أذكر مرّة . وكانوا قد نصبوا نافورة طولية تحت نصب الحرية . قال صاحبي وصديقي (طاهر فاضل) : هل تعرف لماذا تمّ وضع النفاورة هنا ؟

قلت : لماذا ؟

قال : حتى ينشغل الناس بالنظر الى الماء دون النظر الى النُصب . محاولة في نسيان الحريّة .



بين كلب جياكوميتي وكلب أبي



لم أكن وحدي . كانت تصاحبني رغبتي في الإقتراب أيضا . حين دخلت الى فضاء الأعمال النحتية لجياكوميتي إضافة للكثير من تخطيطاته ولوحاته التي كانت تؤثث جدران وأرضية قاعة متحف الفن في سيدني عام ٢٠٠٦ . دخلت القاعة وأنا منحاز بدءاً . لقد كان جياكوميتي صديقاً لي في بغداد . وفي عمّان أيضا . قضيت ساعات طويلة وأنا أقرأ حواراته . وأدقّق النظر في صور شخوصه الأبديين . القراءة نوع من الصداقة تتجاوز حدود الوقت والمكان . ولطالما كانت القراءة نافذة لخروجي من بؤس اللحظة. وتبريراً جميلاً لوجودي . ودافعاً قوياً للبقاء .

كان الناس يتوافدون الى القاعة . وكانت هناك - إضافة الى ذلك - حشودٌ من طلبة تناثروا على الأرض . في الغرف . وفي الممرّات حول شخوص جياكوميتي النحيفة . الطويلة . ذات الأقدام العريضة الهائلة . لا ينظرون فقط . بل يرسمون أيضا . كنت أتجوّل بين أعمال النحت خارج نطاق المكان. فهذه التماثيل شاهَدَ مخاضَ ولادتِها أصدقاء كثيرون . جان بول سارتر .



يمون دي بفوار . جان كوكتو. جان جينيه .
ان جياكوميتي القابلة . وكان العالم إمرأة في المخاض .
م أتوقّع أن أصل الى هذا الحدّ . أن أقترب من تلك اللّحظات . وأن أسمع
دار من حوارات فيها . وحولها . لم أكن أجْوّل في قاعة . بل كان تجْوّلا
ي لحظةٍ تأريخيةٍ ساهمت بانتشال الإنسان من هاويّة اليأس . اليأس إبن
رب العالمية الثانية . لحظة أعادت للفرد ثقته بنفسه . أعادت إليه قيمته
دواه . جعلته يتمسّك بحريّته كهويّة شخصيّة .
نت أمرّ بين الشخوص الذين يتركون بصماتهم بثقل على الوقت والأرض
عا . فالإنسان يتآكل . لكنّه تآكل يشبه الترسّب . يجعل الإنسان يزداد
سوخاً . يحفر وجوده بإرادته طيلة إقامته في العالم . تلك هيّ رسالة
ياكوميتي .
كنّني لم أتمالك نفسي عندما وقفت وجِهاً لوجه أمام تمثال « الكلب
سائب» ودون أن أفكّر في ذلك . ودون أن أخطّط له أيضا . رأيتني أجلس
لى الأرض قبالة التمثال . تماماً . كما يجلس مُريدٌ أمام شيخه . أحاول أن
تصق بلحظة الكلب الأولى . بالفكرة وبالمخاض . بجرأة جياكوميتي وهو
حت التآكل والتيهان في لحظة واحدة . كنت مستغرقاً تماما . بعيداً -
خل المكان - أتحسّس العمل بعيني وذهني . عندما فجأة حطّت على
سي مثل حمامة أليفة إمرأة أسترالية عجوز. وقد هالها شرودي العميق.
الت تسألني : هل أنت مستمتع بهذا العمل الى هذا الحد ؟
ت : نعم . أنا مستمتع جدا .
الت : وماذا يعني هذا الكلب ؟
ت : لقد سأل جان جنيه جياكوميتي نفس هذا السؤال فأجابه : «
دت أن أنحت تمثالاً شخصيّاً لنفسي فكان هذا « . إنّه ليس كلبا . إنّه
ياكوميتي نفسه . وأنا أنظر إليه الآن مباشرة .
ا أن قصصت عليها الحكاية حتى بادرتني المرأة العجوز بجملتها الرائعة .
الت: « كم هو مثير ذلك . وكم هو حقيقي . فأنا أيضا أشعر أحيانا بأنني
لبة . وفي أحيان أخرى أشعر أنني قطّة «.
الت جملتها وحلّقت في الزمن السائب . زمنها الخاص . تاركة إ



حيرة فهم هذا العالم . كان لها من العمر عمر جدّتي . وللحظة تخيّلت أن جدّتي – التي ماتت عام ١٩٩٦ عن عمر ناهز الثمانين عاما – تخيّلتها وهي تتجرّأ على أن تتحسّس نفسها كلبة أو قطّة . ربّما كان من السهل أن ترى نفسها قطّة . ليست سوداء حتماً . لأنّها - وفق العرف الإجتماعي المغلّف بحسٍّ ديني سطحي - جنّيٌ أو مسكونة بالجن . لكن هل كان بإمكان جدّتي أن تتجرّأ على أن ترى نفسها كلبة . وسائبة أيضا .

صفعتني المرأة العجوز بقولها . إخترقتني من أسفلي إلى أقصاي . سحبت البساط من تحت أرجل كلب جياكوميتي . فالقضيّة ليست شأناً خاصّاً. أو إحساسا فرديّا . بل نسيجاً كونيّاً يتحسّسه أشخاص إمتلكوا الجرأة على الإقامة خارج كلّ ما هو جاهز . وخارج كلّ ما هو مكتمل . إنّها ذائقة جمعية أخرى . ثقافة هي نتاج تجربتها الحيّة في العالم . ثقافة ليست موروثة . وعي آخر . وعي مرن . الدخول فيه يمنحك قدرة على الإسترخاء . وعلى رؤية الأشياء بشفافية عالية .

وحتى يكون للرؤية توتّرها أيضا . خرجت من القاعة وأنا أتذكّر نظرة أبي - المتديّن / المؤمن - للكلب . كان أبي يرى - أسوة بالبيئة الإجتماعية التي نما فيها – أنّ الكلب يطرد الملائكة من البيت . فللكلب صلة بالشّر – لا أعرف جذر هذه الصلة . ولعلّها لا تبتعد عن أصل فرعوني - وأنّ خلو البيت . أو خلو الحياة من الكلاب يجعل العالم أكثر احتفاءً بالملائكة . فهل أراد جياكوميتي أن يطرد الملائكة من العالم الأرضي ؟ هل فكّر في ذلك حقّاً ؟ هل أنّ وجود الإنسان على الأرض يطرد الملائكة منها ؟ هل أنّ مولد الإنسان الحديث إعلان بموت زمن الملائكة؟ أتساءل وأنا أبتسم .

بقي أبي على هذا الإعتقاد حتى منتصف تسعينيات القرن الماضي . وصادف أن إنتقل مع العائلة من قرية (الزهيرات) للسكن في منطقة (القاطون) في بعقوبة . وكانت هذه المنطقة كغيرها من مناطق العراق حافلة باللّصوص .

وذات يوم ذهبت لزيارة العائلة في (القاطون) . ففاجأني أنّني رأيت كلبين يهزّان ذيليهما في باحة بيتنا .

لأكثر من ثلاثين عاماً وأبي لا يسمح لنا بإدخال كلب الى البيت . حتى ولو



كان جرواً جميلاً ودودا . لكنّه هذه المرّة - وتحت إمرة وضع إجتماعي قاهر- تنازل قليلا عن حسّه الديني . كان قد وافق على إدخال كلبين معاً في وقت واحد .
قلت له مشاكساً : هذا يعني أنّنا نجونا أخيراً من الملائكة .
عندها قال حكمته الرائعة : أن تخرج الملائكة من البيت خير من أن يدخل اللّصوص إليه .



رجل في الضوء



تثيرني النهايات دائماً لأنّها تكشف عمق التجربة الحياتية لفردٍ ما . أو لجماعةٍ . أو أمّة . ولا أريد هنا ألا أن أتحدّث عن إنسان يقف على الحافّة . يرى إنزلاق إقدامه . يرى نافذة المجهول تفتح أبوابها . لكنّه يصرُّ على أن يُحَيي الحياة والأحياء . بل يشعر بالفرح إنّه أقام بينهم . وأنّه لو قُدّر له البقاء أو الحياة ثانية فإنّه لن يتردّد في قول (أحبك) لمن أحبّه حقا.

تجربة إنسانية مثل ثمرة ناضجة . إستطاعت أن تكشف عن إنفتاحها على العالم . ومحاولة إحتوائه . لا بنفيه . بل بتفعيله داخل خصوصيّتها. الكشف عن مكامن الجمال والشفافيّة في كلّ شيء . ذلك هو غابريبل غارسيا ماركيز .

إنتماءٌ للإنسان . لهذا الكائن الخالق . الذي إنتشل – ولا يزال - الارض من غابتها . للمبدع المتحسّس للرهافة في إنكسار الموجة . أو حتى في إنتصابها جبلاً امام حياة تقف أحياناً كثيرةً على سطح زورقٍ صغيرٍ تتحدّى



الجبروت الكامن في ثنايا الطبيعة.
كلّ فعلٍ لا إنساني إنّما ينتمي بصلة نسب للغابة . لا فرق بين إنخساف الأرض وبين تهديم بيوتٍ على أهلها .
لقد كان الانسان دائماً يقف هناك على الضفة الأخرى من الغابة . يراقبها. يراقب تناسلها أيضاً . لكنّه ليس مراقباً سلبياً . فبرغم الحضور الكثيف للغابة في سلوكيات الناس إلا أنّه يواصل القفز أعلى وبعيداً . محاولاً إنتشال ما يستطيع من البشر من بين مخالب المصرّين على إحياء الغابة في التفاصيل البشرية .
ماركيز على الحافّة . رجل يحبُّ الحياة . ويعتبر إغماضة العين لدقيقة هو خسران لستين ثانية من الضوء .
رجلٌ أقام في الضوء . وأحبَّ الضوء . وأحبّه الضوء أيضا .
الإنسان في النهاية إبن اللحظة الخاطفة . اللحظة البارقة . مثل ستّارة تعكس شعاع الشمس في عتمة الماء . ولا حياة إلا للأسماك التي تتّقن التعلّق بالشعاع المنعكس .
رجلٌ في الضوء . وعلى سريره الأخير . يستلقي متوثّباً للقفز بعيداً . لمجهولٍ يفتح الباب لا ليدخل . بل لينتشل ما يستطيع ويمضي .
أحاول الإلتفاف على كلمةٍ لا أحبّها . ولا أريد أن أنطقها الآن . رغم حضورها الثقيل . حضورٌ يومي . حضورٌ كأنّه المكنسة . لكن ليس مع كلّ أحد .
الموت مكنسة هائلة للثقلاء على الحياة . لكنّه طفل ودود مع خالقي الحسّ الرفيع . لقد كان ماركيز ولا يزال درساً إنسانيّاً في الذائقة الجديدة . في التفوّق على الجثث التي تحكم هنا وهناك .
تعلّمتُ منه كيف أرى السحر الكامن داخل الحاجة البشرية . إنسانيّة الرغبة . إنسانيّة الفقدان . والشعور بالحنين .
الحنين هجرة معكوسة . هجرة تقف الى جوار الموجة ضد الزورق .
تعلّمت منه سحر الصراع الكامن بين رغبة القفز بعيداً والحنين الى الوراء .
رسالته الأخيرة ضوءٌ آخرٌ يقف الى جانب الضوء . يصرُّ فيها على أن يقول أيّها البشر أحبّكم جميعا . لقد تعلّمت منكم جميعا . أدركتُ أين مفصل الفخّ . عندما يكون التعلّق بالإصبع هو الفخّ . الإصبع الستّارة . مَنْ يصطاد



مَنْ ؟ وكيف يقع الفرد في الحبّ ؟ وكيف يمضي به الدرب سريعاً وبعيداً دون أن يدري ؟

لقد جرّه العشقُ بعيداً . قطع الدرب . لكنّه لم ينتبه إلا على الحافّة . لقد كان العشق فخّاً أيضاً . لكنّه أجملها .

توهّجٌ يأتي لحظة الإنفتاح الأخير للنافذة . حين تصرُّ الشمس أيضاً على أن تقول كلماتِها .

ليس عسيراً أن أبثّ الآن في أذن ماركيز قبل أن تنغلق والى الأبد : لقد كنتَ تجربةً بشريّةً ناجحةً في الحبّ . ساهمتَ بما تستطيع أن تنتشل الإنسان من براثن الغابة بلغةٍ ليس من اليسير تكرارها . لكنّها حتماً ستخلق أشباهها .

ستحرص الحياة على أن تتواصل معك . سواء أكنتَ فيها . أو أغواك المجهول على القفزة الأخيرة .



وقوع الكبار في الفخّ



في حوار مع الشاعر سليمان جوني قال لي مندهشاً إنفردنا أنا وباسم الأنصار بأدونيس بعد أمسية له في كوبنهاغن في الدنمارك . وسألناه لأيّ الشعراء الشباب تقرأ ؟ قال : من الشباب أقرأ لوديع سعادة !

في كتابه فحولة الشعراء يقف الأصمعي على مشارف الدولة الأموية رغم أنّه مات بعد ما يقارب الخمسة والثمانين سنة على سقوطها . فلا نعثر ضمن تقييماته على رأي بخصوص بشّار وأبي نؤاس وأبي العتاهية !

عندما مات طه حسين رثاه نزار قباني بقصيدة عاتبه فيها . فقد تحدّث كثيرا عن التجديد والتقليد في الشعر العربي . لكنّه توقّف عند عتبة أحمد شوقي وحافظ ابراهيم . حتى إنّه لم يكتب عن العقاد كشاعر إلا بعد وفاة الأخير . وسأله نزار عن لماذا لم يقل رأيه أو لم ينظر في نتاجات الشباب . روّاد الشعر الحرّ وما بعدهم ؟!



يبدو لي أنّ ثمّة تقليد في ثقافتنا العربية . يمارسه الكبار دون إنتباه . تقليد يقف العمر فيه حاجزاً على الرؤية . ولربّما يكون الإنتماء لحقبة دون سواها هو الحاجز الفاصل . وأنا أتحدّث هنا عن دعاة الرؤى المنفتحة . كما لو أنّ الرائي لا يرى أبعد من أرنبة أنفه . يمكن أن نجد أعذاراً وتبريراتٍ حين تكون التجربة فردية . لكن حين يتكرّر المشهد دائما . فالأمر بحاجة الى وقفة تأمّل خارج السرب .

لا أزال أحترم كتابات الاصمعي وطه حسين وأدونيس . وأنا هنا أتّخذهم نماذج لحديثي هذا . يمكن أن أخرج منهم بتعميم . لكنّني أيضا . أعرف تماما أنّهم لا يمثّلون الكلّ . إنّهم في النهاية يمثّلون ذواتهم فقط . غير إنّ تشابه التجربة تجعلهم جميعاً يسقطون في الفخّ ذاته .

لن يكون هناك رأي للأصمعي حين يكون الحديث عن بشّار أو عن أبي نؤاس . لقد أغلق على نفسه الدائرة . كان يمكن أن يمتدّ الى نهاية حياته الى سنة ٢١٥ هجرية . لكنّه توقّف قرب مولده .

أعرف أنّ الفرد مهما اتّسعت رؤآه . فإنّه في النهاية يظلّ محدوداً بنسبيته لقد قتل آنشتاين فكرة الإمتداد الى النهاية . لكلّ فرد بساطه الذي يتمدّد عليه . البعض يمتلك بساطاً على الارض . والبعض الآخر يمتلك بساطاً طائراً . لكنّه . يظلّ يحلّق ضمن مجال الأجنحة المتاحة .

الأذكياء فقط هم الذين يحلّقون ببساطهم الى آخر مدى الأجنحة . والأذكى منهم أولئك الذين يحتالون على الأجنحة أيضا . محاولة غوايتها بما لا تقوى عليه . أن تكون حيّاً في حاضرك إلى أقصاه .

سكوت الأصمعي لا يعني إنّه لم يكن يعرف بشّار بن برد فكلاهما عاش في البصرة . ولا أشكّ في إنّهما إلتقيا مرّة أو مرّات (مات بشار عندما كان الاصمعي في الثامنة والأربعين من العمر) . غير أنّ السكوت يمكن أن يُقرأ بأكثر من دلالة واحدة . فمثلا يمكن أن يُقرأ على أنّ الأصمعي لم يسمع لبشّار شيئا . وهذا يجعله بعيداً في الماضي عن حاضر لحظته . أو أنّه تردّد في اتّخاذ قرار فيه . أو أنّه لم يكن يرى شعرا ولا شعراء بعد جرير والفرزدق والأخطل .

الأمر ذاته ينطبق مع طه حسين وأدونيس ومن شابههم . وهذا خلل لا يقع



على أكتاف بشّار بن برد أو بدر شاكر السياب أو سليمان جوني . الخلل يقع على عاتق الأساتذة الكبار . والخاسر في اللعبة هم لا غير .
لقد توهّج بشار وتوهّج السياب ولا أرى سليمان جوني إلا متوهّجا مثلهم.



كنتُ الأبكمَ الوحيد



كانت تتحدّث بصوتٍ عالٍ . قال زوجها الهندي : إنّها نصف صمّاء. وكان من غير اللائق أن نطالبها بأن تخفض صوتها .
الأمر الذي شدّني إليها أنها كانت تُدَرِّس لغة الإشارات . ومنها عرفتُ أنّ هناك لغتين للصمّ والبكم . إحداهما تعتمد يداً واحدة في الكلام . والأخرى تعتمد اليدين معا . وهذا يعني أنّ هناك إختلافاً جذرياً في الإشارات التي يستخدمها الأمريكي الأصمّ عن الأسترالي على سبيل المثال . لأنّ الأمريكي الأبكم يستخدم يداً واحدة في الحوار بينما الأسترالي يستخدم اليدين كليهما . وكانت صديقتي الهنديّة تجيد التحدّث بيدٍ واحدة . وباليدين معا .
كنت أتحاور معها كثيراً . أحاول أن أقترب أكثر الى عالم الصمّ والبكم . وكانت تحبّ أن تتحدّث لي أيضا . وذات مرّة وجّهت لي دعوةً لحضور عرض مسرحي للصمّ والبكم في (بيروود) . وبلا تفكير أعنلت قبول الدعوة . قلت لها : " أحتاج الى قاموسٍ إشاراتي يساعدني أن أتعلّم أبجدية اللغة



" فجهزتني بقاموس مساعد رُسِمَت فيه الإشارات . والى جانب كلّ إشارة تمّ تدوين معناها أو دلالتها . وأخبرتني أنّها ستكون معي . وستجعل كلّ غامض واضحاً جليّاً . فتواعدنا على اللقاء في مكان العرض .

وبالفعل ذهبت الى مكان العرض بصحبة القاموس المساعد بعد أن تعلّمت منه بعض الحركات / المفردات . متّكئاً على إعتقادٍ سابق بأنّ لغة اليد أسهل من لغة اللسان .

دخلت الى القاعة . كانت أشبه بخليّة نحلٍ هائلة . الكلّ يصيح . ولا أحدٌ يسمع . أكثر من مائتي شخص يتصايحون . الضوضاء في كلّ مكان. صياح كلّه وأواة . والأيادي تعلو وتهبط في الهواء . وجوهٌ محمرّةٌ من الإنفعال . وأخرى تُصغي وتحدّق باستغراب .

لم أخترق الجمع . على العكس تماماً . إنزويت جانباً . وقفتُ في الركن القصي من القاعة أراقب ما يحدث . عالمٌ غريب . عالمٌ لم أتعرّف عليه بمثل هذا القرب . لقد تعوّدت أن أرى شخصاً أصمّاً أبكما . أو إثنين معا . أو حتى خمسة . لكن ليس بمثل هذا العدد الغفير . وقفتُ جانباً . إنتبهتُ الى يديّ كانتا مثل فأرين لاذا بجحريهما . رأيتهما غافيتين في جيبي البنطلون. يداي أكثر خرساً من لساني . كنت أخشى أن أحرّك يدي فتكون الحركة سباباً أو شيئاً قبيحاً أو نابياً . لذا تركتهما في جيبيّ . وفتحت عينيّ على سعتيهما كي أرى .

كان إنتظار صديقتي متعباً . فأنا في عزلة هائلة . عزلة لم أتمرّن عليها من قبل . يمكنني أن أصرخ هنا . أصرخ بأعلى ما أستطيع ولن ينتبه لي أحد . الصوت هنا لا يمتلك القابلية على اختراق الأذان . لدينا في القاعة أكثر من مائتي لسان فائض . وضعف العدد من الآذان . شيء لا يُدركه الا الأعمى أو المصاب بشلل الساقين . عندما يكون جزء من الجسد موجوداً لكنّه غير حي . هل يمكن أن نتصوّر الأذن الصمّاء أذناً ميّتة . كذلك لسان الأبكم وعين الأعمى وساق المشلول . بشر أحياء بأعضاء ميّتة . شعور بالحزن ينمو مثل شجرة يحتل الجسد والعقل . لقد دارت في رأسي لحظتها وأنا أراقب الحشد الأصمّ الأبكم أفكارٌ تشبه تماماً طيوراً بلا اجنحة . كيف أقترب من هذا الجمع ؟ كيف أوصل لهم أسفي . ومع هذا فقد كانوا فرحين . كانت أيديهم



أكثر حياةً من يد أيّ إنسانٍ يتكلّم . ثمّة لسانٌ في اليد . يدي بلا لسان . لكنّني الآن وأنا أكتب هذه الكلمات . أدرك جيّداً أنّ عيناً في إصبعي التي تنقر على أحرف الكيبورد . عالمٌ غريب . عالمٌ يتكشّف أسراراً كل يوم. والحيّ في تعلّم مستمر .

إحساس بالغربة نما لأنّ صديقتي الهندية بعثت لي رسالة على الهاتف النقال تعتذر فيه عن القدوم لظرفٍ طارئ . لقد إكتمل نصاب العزلة . أنا بلا دليل . في عالم لا أفقه فيه إلا بضع حركات . وأخجل أن أقوم بها . كانت تنقصني الجرأة علّى إستخراج يدي من جيبي .

حدث ذلك في السنة الثانية لقدومي الى استراليا (٢٠٠٧) . كان لساني يتعثّر في صياغة جملة باللغة الإنجليزية . فقرّرت أن أجلس وحيداً في زاوية من زوايا القاعة . وفتحت القاموس المساعد كي أشغل نفسي ليس الا . ثمّ فجأة . إقتربت منّي سيدة في منتصف الثلاثينات من العمر ذات بشرة بيضاء محمرّة وسألتني بلطف : هل استطيع الجلوس الى جوارك ؟

لم أصدق ما سمعت فأجبتها على الفور : هل تستطيعين الكلام ؟

ضحكتْ . ثمّ جلستْ . قالت رأيتك غريباً وأدركت أنّك لستَ أصمّاً ولا أبكما.

كانت السيدة روسية وتعمل مدرّسة للصمّ والبكم . لقد كانت القشّة التي أنقذتني من الغرق تلك الليلة .

قصصت لها القصة . فضحكت وقالت : صعبٌ جداً أن تكون بلا دليل في عالم كهذا . لا عليك سأكون دليلك الليلة .

تحدثنا عن الادب الروسي . وعن التغيّرات الاجتماعية التي طرأت على روسيا. لم تكن تميل للشيوعيين . قالت : كانوا جذريين . والتغيير لا يتم بهذه الطريقة . ما يأتي بالقوّة والفرض تخلعه الناس حالما تضعف القوّة .

طال حوارنا لأكثر من نصف ساعة . كانت تحاول أن تشرح لي كلّ حركة أو إنفعال يثير إنتباهي . إستمر الحوار حتى بداية العرض المسرحي . جلست الى جانبي وقامت بدبلجة الحوارات ضمن العرض .

كانت المسرحية محمّلة برسالة إنسانية الى البشر الذين يمتلكون القدرة على النطق . ثمّة جدلٌ هائلٌ حول فتح نوافذ للتواصل مع المجتمع . أن تكون



أصمّاً أبكماً فهذا ليس قراراً شخصيّاً . إنّه خطأ في الخلق . فلا يجب أن يتحمّل وزر هذا الخطأ من وقع فيه . إذن . فإذا كان الأبكم لا يستطيع أن يتعلّم النطق فإنّ الناطق أو الناجي من هذا العوق يستطيع أن يتعلّم لغة الإشارات التي يتحدّث بها الأبكم . وهنا يرتفع الجدل الى اقصاه . اذا كنتم أنتم البشر الأصحّاء قادرين على تعلّم لغتنا فلماذا لا تبادرون الى ذلك وتفتحوا بيننا نوافذ الإتصال ؟ كانت الرسالة تقول : إنّ العوق الحقيقي حين تستطيع أن تفعل شيئاً ولا تفعله .

الرسالة واضحة جداً . وتكشف عن حزن هائل . كائن وجد نفسه داخل جسد نصف حواسه عاطلة . ويرى الآخرين غير عابئين به . أو يتعالون عليه. الأبكم يشعر ويفكّر كما تشعرون وتفكّرون . كنت جالساً أرى . وكأنّني المدان الوحيد في القاعة . الرسالة إخترقتني الى النخاع . أحسست بالعوق حقّاً . أنا المعاق الوحيد في القاعة . فالسيدة الروسية الجميلة كانت قد فتحت نوافذ الإتّصال . لكنّني كنت الأبكم الوحيد في عالم ينطق بألمه ويحاول أن يقول رأيه في الحياة وفي كلّ شيء . كنت الأبكم الوحيد لأنني كنت أرى الإشارات ولا أفهم الدلالة . كانت عيني عمياء . وكنت أحاول أن أصغي بكلّ جوارحي للسيدة الروسية وهي تفكّ الألغاز . قالت : " عندما ينتهي العرض لا تصفّق بضرب كفٍّ بكف . ولكن إستخدم كفّيك معاً كلّ واحدةٍ على إنفراد كما لو أنّك تلوّح بهما لشخصٍ بعيد . إنّهم لا يسمعون التصفيق ولكنّهم يرون التلويح " .

عندما إنتهى العرض كانت أكفّ الجمهور كلّها تلوّح في صمتٍ هائل . تصفيق صامت . لكنّه صمتٌ يوشك أن يثقب سقف القاعة .

شكرتُ السيدة الروسية وشكرتُ الحظّ الذي جعلها رفيقتي في خوض التجربة . لقد أعادت الى عيني البصر ثانية . خرجتُ وأنا مشحون باكتشاف هائل . إنّنا في العالم ولسنا فيه . أوقفني موظّف الإستعلامات وكان أصمّاً أبكماً أيضا . سألني بلغة الإشارات . فلم أفهم شيئا . رأى حيرتي فكتب لي على الورقة : هل إستمتعت يا سيدي ؟

قلت على الفور : نعم

هو لم يسمع نطقي للكلمة . لكن رأى سعادة عيني لحظة النطق .



فانحنى لي . وبدوري إنحنيت له وحيّيته وخرجت .

خرجت الى عالمي . كما لو أنني كنت في قاع بئر أهلها يبحثون عن دلو ينتشلهم من العزلة . وجئت بهذه الرسالة . ليست الى أحد . بل الى كلّ أحد . الى الجميع بلا إستثناء : يا من تدّعي أنك تجيد النطق . إنّك أبكم أيضا .



إختبار جان دمو



كنّا أربعة أشخاص على موعد مع (جان دمو) . كان بيننا امرأة واحدة . بدا لي وجهها كما لو أنّها (ريّا عاصي) . نبحث عن قاعة تحمل رقم ثمانية . لكنّنا وجدنا أنفسنا في شارعٍ عريض ببناياتٍ عالية جداً . كانت أرقام البنايات تبدأ من الرقم ثلاثة وعشرين ثمّ تتنازل . لذا كان علينا أن نصل الى البناية التي تحمل الرقم ذاته .

لم يكن جان منعباً . لكنّه تماماً بلحيته الكثّة وصلعته اللامعة . ثمّة برق في الجبهة . بين العينين تماما .

المكان يشبه سطحاً لإحدى فنادق بغداد الشعبية . ولا أراه يبتعد عن أن يكون سطح (فندق الهادي الحديث) في ساحة الشهداء في سبعينيات القرن الماضي . لكن . بدلاً من نهر دجلة . تحوّل المشهد الأمامي الى ساحل محيط .

فجأةً . رأيت موجة تصعد على المحيط . كان الذين برفقتي منشغلين عن صعود الموجة . منشغلين عن اقتراب المحيط . صحتُ : الموجة قادمة .



لكنّهم كانوا منشغلين واستخفّوا بها . أما أنا فلجأتُ الى غرفةٍ ووقفت عند أحد أركانها وأنا أرى الموجة تركب المدينة . كنت أرى المشهد كلّه . كما لو أنّ الجدار نافذة . كانت البنايات تنهار . ثمّ انهار سقف الغرفة التي أنا فيها .

عندما استيقظت من الغرق . كان الذين برفقتي يجلسون على السطح. بانتظار أن يختبرنا (جان دمو) كلّ واحد على انفراد . كنت قلقاً . قالت التي تشبه (ريّا عاصي) : سيكون الأمر يسيراً بالنسبة لك .

جاء دوري . تقدّمت باتّجاه (جان دمو) . كان (الجواهري) يجلس في أقصى المكان . طلب مني (جان) أن أجلس على الكرسي الذي كان على يمينه . حملت الكرسي وجلست على يساره . قال : لماذا ؟

قلت : لا استطيع ان اجلس وظهري للجواهري .

فرح (جان دمو) بذلك . وابتسم (الجواهري) .

كان (الجواهري) يرتدي زيّاً عسكريّاً . وكان ثمّة إحتجاجات وصخب في الخارج . ثمّ فجأةً دخل إنضباطي الى المشهد وطلب من (الجواهري) هويّته. وقف (الجواهري) ورفع بيريّته . قال الانضباطي مندهشا : ابو فرات .

ولأمر ما إنقلب (الجواهري) الى امرأة جنوبية تتشح السواد . وتضرب على صدرها وتصيح . كان صخب الخارج يزداد هيجاناً وعنفاً .

كنتُ أراقب وأبكي . قال جان : لقد تراهنتُ على بكائك . وذكر لي مجموعة اسماء كان من بينهم (عدي رشيد) .

ثمّ بدأ عرض نهايات الأشياء . كنت أرى زوال كلّ شيء . كما لو أنّ إستعراضاً نهائيّاً هائلاً للخلق . كنت أرى وأبكي . كانت التشابيه الحسينية والقتل الحقيقي . ذبح هنا وهناك . قذائف وصواريخ . رصاصٌ أيضا . وصراخ أطفال . وكان أيضاً ثمّة من يواصل البناء . ثمّة من يبني أنفاقاً . رأيت (خليل) الذي سأله أستاذ العلوم عن إسمه فوقف صامتاً وقد نسي إسمه . رأيته يقود العمال كما لو أنّه مهندس العمل . كانوا يحاولون إنارة النفق .

ثمّ فجأة . طلبت مني امرأة أن أساعدها في حمل النعش . كان علينا أن نصعد السلّم . رفعتُ النعش معها . كانت تريد أن توصله الى المستشفى. أو الى المحكمة . كان الصعود شاقّاً . لكن . عندما وصلنا الى القمّة . قالت



المرأة : لقد إنتهى الإختبار . هذا نعشك .

نزلتُ السلّم . كان (جان دمو) بانتظاري . قال : عليك أن تكتب كلّ شيء.

أعطاني دفتراً . وقال : أكتب .

فتحت الدفتر . كان مملوءاً كتابة . لم تكن هناك صفحة فارغة .

قلت : اين اكتب ؟

قال : يجب أن تكتب ما رأيت .

عندما استيقظتُ قالت لي (حنين عمر) : لقد صحونا ليلة البارحة على زلزال هزّ المدينة .



إتّجاهات



لا نجاة من الإنتماء لشيء . كائناً ما كان هذا الشيء .
البعض ينتمي لوطنٍ أو عائلةٍ أو تاريخ . وآخرون ينتمون لدينٍ أو لتقليد إجتماعي . وبعض ينتمون لأفكارٍ تحاول الخروج على كلّ ذلك .
وفي بوتقة الإنتماء يقضي الفردُ حياته منقاداً حتى وهو يهتف بتحرّره . لأنّ الهتاف إنتماء .
الذي أيقظ فيّ هذه المقدمة شعور بالإنتماء لكلبة تعيش في منزلي منذ عشرة أشهر وهي على مشارف الستين بأعمار الكلاب . بدأت تهرم بسرعة كبيرة كما يهرم الناس فجأة . وكما تشيخ الأشجار أيضا .
عينها تقول أشياء كثيرة . كما لو أنها تحاول إحتضان الحياة بالمتبقّي من حيويّتها . غير أنّ الجسد يقرع أجراس الأفول . ثمّة ضبابٌ في العين . وبطءٌ في الحركة . تخطو وتتعب . أحملها فتتكئ على كتفي . تضع رأسها قرب أذني . تحاول التعلّق بي . كما لو أنني نجاتها . وتعلم أنها تتعلّق بشيءٍ زائلٍ أيضا . ولكنّها الرغبة على البقاء أطول . كلانا في البئر . وهي تتعلّق



بساقط في البئر .
تقلقني خيانة الجسد . عندما يقف على الحافّة . ولا يجرؤ إلا على السقوط.
إستسلام الجسد للذهاب . لقد رأيت ذلك في وجه جدّتي . ولم أره في وجه عمّي . يحدث أن تقفز بعيداً وأنت في ذروة الحيوية والنشاط . عندما تتوقّف غدّةٍ بحجم الحمصّة عن العمل . جسدٌ بضٌّ غير أنّ إضراباً داخلياً بسيطاً يشلُّ حركة الوجود كلّه . فترى الجسد البضّ ملقىً على الأرض لا يقوى على الحراك .
عندما ينكمش اللسان مثل قنفذ . فإنّ اللغة لا تجد متنفّساً لها غير العين .
أراقب كلبتي وهي تبحث عن تراب . تحفر لها مكاناً وتستلقي فيه . هل هي بوادر الذهاب . هل يتحسّس الجسد لحظة غروبه الاخير ؟ لقد مررنا بمثل هذه التجربة . أن نراقب كائناً عزيزاً وهو يمضي شيئاً فشيئا . كنّا نجلس بالقرب من ليلى . وكان الذبول ينمو . يجفّ الجسد . كما لو أنه يُعْصر من طراوته .
الكلبة تنام الآن تحت كرسيي بينما أكتب هذه الكلمات . تشعر بالطمأنينة وأشعر بالقلق . بي حزن أعرف نبعه . ولا أعرف أتجاهه . مررت به كثيرا . حزن كأنّه توأمي . حزن يتعلّق بالإنتماء للحياة . رغم أنّ الجهة الأخرى أصبحت مأهولةً تماماً بأصدقائنا وبمن نعرف . لن تكون الضفة الأخرى منفى .
بالأمس كنت أقود السيارة . وكانت بشرى الى جانبي . وكنّا متّجهين الى مكتب خطوط جوية للحجز عندما فجأةً وجدنا أنفسنا ضمن رتل رسميٍّ لجنازة تتّجه الى مقبرة . قدتُ السيارة ضمن الرتل الى أن إفترقت الطرق .
ذهبوا بالنعش الى نهايته . وذهبنا لنحصل على تذكرة للسفر الى العراق.
قلت لبشرى : كلٌّ يتّجه الى غايته . ولا فرق بين سفر وسفر .



يومٌ كما نشتهي



إستيقظت على غيوم تتراكم وتتداخل بعضها ببعض مثل قطن مندوف . أما الهواء فكان مشوباً ببرد لذيذ . قلت في نفسي هذا يوم لا أحتاج فيه الشمس كثيرا . لذا قرّرت أن أقوده الى ما اريد .
يحدث أن تكون هناك فسحة ضيّقة من الحريّة على الفرد أن يستثمرها الى أقصاها . فسحة لا تطول كثيرا . لكنّها تترك أثرا عميقا من البهجة والإستمتاع في النفس والعقل .
وفي النهاية . أنا أبحث عن حدث يكون نافذة لرؤية أو لسؤال .

للطبيعة حضور في تشكّل المزاج . بل إنّنا كشرقيين نمتلك مزاجاً يكاد أن يكون توأم مزاج الطبيعة . ومع هذا فإنّ الصينيين يتفوّقون علينا في كيفية التكيّف مع تقلّب مزاج المناخ . هناك دائماً مظلّة تحت الإبط . مظلّة تقيهم تطرّف الشمس والمطر . أما نحن فنعلم أنّها ستمطر . لكن. هناك إحتمال آخر لعدم المطر . وهذا يعني أنّنا سنحمل المظلّة دون



حاجة . الإحتمال هنا يجعلنا أقلّ تأقلما . تكون نتائجه أنّنا نشتاط غيضاً من حرّ الشمس ومن بلل الأمطار . نفقد لذّة الإستمتاع بالطبيعة كما هي .
الحديث يجرّني هنا الى علاقاتنا الشخصيّة أيضا . التي إمّا أن تكون ضدّ أو مع . حتى تبدو الهدنة خيانة للذات . مدبّبون في الرؤية والإعتقاد وفي العلاقات الإجتماعية أيضا . وبالتأكيد فإنّنا نخسر نتيجة ذلك الكثير من الحوارات التي قد تكون منتجة لو انّنا وقفنا على الحدّ الفاصل دون أن ننحاز مع أو ضد .
كانت الغيوم تتحرّك ببطء . ودون تردّد قررنا أن يكون يوماً مختلفا . أن نخرج - أنا وبشرى - دون أن نلتفت إلا للإستمتاع باللحظة التي نحن فيها ونملكها .
ما نحتاجه حقّاً الرغبة في الخروج . فكلّ شيء مهيأ تماماً . المعرفة البشرية جعلت الحياة أكثر يسرا . جعلت الحصول على المتعة أمراً يسيرا . شرط أن نعرف كيف نستمتع بلحظتنا وبالأشياء التي حولنا . أن ننتبه لكلّ شيء. وأن نتغافل - ولو ليوم واحد - عن ما يعكّر المزاج .

في سيدني . النزول الى المدينة . يعني النزول الى إنفتاح ثقافي . لا تحتاج أن تتوغّل فيه . لكنّه سيكون حاضرا في لحظتك . بشرٌ من كلّ جهات الأرض. أزياء وألوان ولغات لا يشبه بعضها بعضا . لا تتقاطع . بل تتشابك في نسيجٍ هائل للإختلاف . وهذا أجمل ما في الأمر . لأنّنا في النهاية لسنا نملاً أو دوداً . التعدّد الثقافي يجعل الإنسان كفرد أكثر شفافية . وأكثر إنسانية. الكلّ يحاول أن يُعطي أجمل ما لديه . وأفضل ما لديه .
إستخدمنا من وسائل النقل المتاحة . السيارة والقطار والزورق النهري . تجوّلنا في شارع بت (Pitt st.). إستمعنا فيه لعزفٍ منفردٍ على الجيتار. كان العازف شاباً مذهلا . كما لو أنّ أصابعه تنسج حريراً أو تصوغ نحتاً في الهواء . الجمهور ملتفٌّ في دائرة محيطها قرابة عشرة أمتار . كانت السماء تُصغي أيضا .
ثمّ واصلنا الخطو باتّجاه حيّ الصخور . أقدم أحياء سيدني . دخلنا أقدم بيت



هناك . بيت يعود لعائلة غودمان . وغودمان هذا كان سارق خيل قضى في السجن خمسة عشر عاماً . وتقول السيرة الذاتية لزوجته أنّها سرقت مشطاً وسكاكين فتمّ سجنها لسبع سنوات . تمّ بناء البيت عام ١٨١٦. وهو يطل على (السيركلر كي) . وهناك صورة فوتوغرافية للميناء تمّ التقاطها عام ١٨٤٥ . يبدو فيها بيت غودمان منتصبا .

تجوّلنا بشرى وأنا في سوق السبت والأحد لحيّ الصخور . ثمّ دخلنا مطعما إيرلندنيا . كانت جلسة غذاء على أنغام إيرلندية فلكلورية . كنت أراقب وجوه المارّة الإيرلنديين بالذات وهي تزداد حمرة . وتزداد العيون ألقا بالفرح . إنّها بهجة الإنتماء . ثمّة فناة تقف كما لو أنّها كانت منقادة لذكرى تقفز مثل طفل . بعض الموسيقى ترتبط بالطفولة . تجعلنا أطفالاً لا نشيخ. قلت لبشرى : لو أنّ فرقة ما تعزف أو تغنّي لنا (يا حريمة) . لتجمّع العراقيون أيضا . ولكانت البهجة معجونة بألم حاد .
بعد أربع كؤوس من الغينيس / البيرة السوداء والثويسي أولد نزلنا الى الساحل . وقرّرنا أن نركب زورقاً يأخذنا الى الدارلنغ هاربر (ميناء العزيز) . كانت السماء تتأرجح مع الموج . رأيت الإنبساط على وجه بشرى . قالت : الهواء منحني نشوة الإستيقاظ اللذيذ .
ولكي تكتمل المتعة كان الى جوارنا زورقٌ آخر تضجّ منه الموسيقى وصخب الراقصين . صدفة جميلة . حفلة شباب لم يبلغوا بعد سن الثامنة عشر. أناس تعلّموا لعبة الفرح . وتعلّموا أيضا كيف يعيشونه .
نزلنا في الدارلنغ هاربر وواصلنا الخطو باتّجاه الحديقة الصينية للأصدقاء . كانت النوافير الجديدة تملأ المكان . لعب أطفال . ماء ورمل . وبنايات جديدة. كازينوهات ومطاعم جديدة . نرى ونستمتع ونتساءل . هل سينتبه الذين هناك للحياة التي هنا . الحياة التي تستحق أن تُعاش ؟



إنتباهةٌ كأنّها الصدى



التجربة الحقيقية تلد أسئلة تمتلك من القوّة حدّ أن تخترق عزلتك النائية . هكذا . تجرّك ثانيةً الى البحر . حتى وإن كنت كائنا برّياً .
في مقاله " شاكر حسن آل سعيد : تمجيد العارف " ينقل الناقد حاتم الصكر عن آل سعيد قوله : " كان عليّ في اختياراتي المتتابعة أن أصل أخيرا إلى (إشكالية) لا أزال أعاني منها . وهي (وجود) اللوحة كحدٍّ فاصل بين الذات والعالم من جهة . وضرورة الإستغناء عنها بالمرّة كحلٍّ لتلك الإشكالية من جهة أخرى . "
إشكاليّة آل سعيد الوجودية منحتني إنتباهة كأنّها الصدى . كان من نتاجها . هذا المقال .
وجدتني منشغلا بالقارئ . دون أن أسعى الى تحديد هويّته . لأنّ الكتابة في النهاية شبّاك مفتوح وشبكة ملقاة في النهر . القارئ سمكة أو طير . ولعلّه سنارة أو قفص . ومع هذا وجدتني منشغلا بالقارئ من زاوية أخرى. بالحدّ الفاصل الذي يمكن أن يتيح لقاءً بيننا .



أنا زمن يجري . لحظات تتنافس على البلوغ . هل النهاية القمّة ؟ الزمن الذي يخترقني يثير إشكالا جديدا على علاقتي بالقارئ . يجعلني أكثر إحترازا على نفسي . أكثر حباً لها . وهذا يقلّل فرصة الآخر من الإقتراب . على الأقل الى الحدّ الفاصل . أن يكون قارئاً .

طرح الذات كنصّ . والإقامة بعيدا . تجعل العلاقة بالقارئ أكثر تعقيدا وغموضا . النصّ ضباب . تصل نصاعة بياضه الى حدّ العتمة في أغلب الأحيان . النصّ بياض قاتم .

اللغة . جدار آخر . يظنّ الكثيرون أنّنا نقيم في اللغة . وما أراه أنّنا نقيم في الدلالات . بل نحن كأفراد في العالم . يقيم كلّ منا في دلالاته الخاصّة جدا . ما نفعله أنّنا نحاول أن نجد تقاربات تجعلنا أكثر شفافية في التحاور مع الآخر . ومع هذا تبقى الدلالة جداراً أيضا .

إنتشار النصّ مكيدة أخرى . وفخّ يقع فيه الكاتب والقارئ معا . الإنتشار يزيد من سعة الفجوة بين النصّ وكاتبه . وبالتالي . يعمل دائما على خلق صورة أخرى للكاتب . قد لا تمتّ له بصلة . وأنا هنا أتحدّث عن النصّ الأصل. وليس عن ترجمته .

إنتشار النصّ يقود الى تفاسير وتأويل قد لا تنتمي لفضائه . وهنا . سيبتعد الكاتب بشكل مستمر . لا يبقى منه سوى الإسم العالق بأهداب العنوان. الإنتشار يعمل على تشظّي الكاتب . يُخرجه من قالبه الخاص . يُفقده الخصوصيّة . ويكون أقرب الى الآخر منه الى ذاته . القراءات المتعدّدة تجعل الكاتب مغيّباً . ومع هذا تبقى له الهالة التي لا تخصّه أحياناً . والتي يعمل القرّاء على خلقها دائما . الهالة تكاد أن تشبه شطحات الحصى على سطح الماء . ذاك أنّ النصّ ليس البئر بل الفوّهة .

ولعل الإيمان والإعتقاد المسبقان لا يعملان على قطع الصلة بين القارئ والكاتب فحسب . بل على جعلها أكثر تنافراً أيضا . هكذا . الكتابة تجعلني بعيداً ومرفوضاً أضعاف القدر الذي تمنحني في الآن ذاته من القبول والقرب . وبالتأكيد . فإنّ الوضوح في النصّ . وهو ما يمكن تسمينه إقتراب دلالات الكتابة لما هي في ذهن القارئ . سيقود الى اتّجاهين رئيسين . الأغلب الأعم مقروناً بالرفض . لعدم قدرة القارئ على عبور الحدّ الفاصل بين الذات



والآخر لحظة القراءة .
ما أريد قوله . إذا كانت الكتابة هي صفتي ككاتب . وهي الحدّ الفاصل لي مع الآخر . فإنّ القراءة هي صفة القارئ . وهي الحدّ الفاصل له معي .
وعليه فإنّ الحدّ الفاصل هو نهايتي وبداية الآخر بالنسبة لي . مثلما هو نهاية الآخر وبدايتي بالنسبة للآخر ذاته . فأنا أكتب لأقترب منه . وهو يقرأ ليقترب أيضا . وكلانا يقف بعيداً عن ذاته على الحدّ الفاصل . انا بفعل الكتابة وهو بفعل القراءة . أي أنّ فعل الكتابة وفعل القراءة هما فعلان يتنازل فيهما الكائن عن ذاته ليقترب أو ليفتح نافذة للآخر .
الكاتب والقارئ لا يلتقيان على قمّة . بل كلاهما يترك قمّته وينزل الى الوادي . اللقاء دائما يكون في الوادي .
والسؤال الذي يرتفع هنا . وأظنّه يقف على نقيض " ضرورة الإستغناء " التي قال بها آل سعيد لحلّ الإشكالية . إذا ما كانت الكتابة حداً فاصلاً بيني وبين القارئ . وهي نزول بدءاً . فهل التنازل عنها يجعلني أكثر إقتراباً إليه ؟!



الفهرست





مكتبة
الفكر الجديد

الناشر:دار مقهى للطباعة والنشر

الولايات المتحدة الامريكية

2012





تأجيل اللذة ، هو الإستلقاء وحيداً على ظهر سلحفاة لم تظهر على سطح الماء، ولم تعرفها الخرائط بعد .
الإقامة داخل عالمٍ غير مرئي ، يتشكّل ، لكنّه موجود قبل التشكّل ، ليس جنيناً ، بل كائناً مكتملاً ، لكنّه محجوب بثقافة موروثة ، أو بحياة موروثة .
تأجيل اللذّة ، أن تعيش في العالم ، خارجاً عنه، وعليه ، قبل أن تعلن عن ذاتك .
العالم ممتلئٌ بإشارات مشفّرة بطرقٍ غامضةٍ تشير الى رؤى مختلفة ، وقلّةٌ جداً، بل يندرون كثيراً ، أولئك الذين تغويهم الإشارات الغامضة ، وتستدرجهم، فيتّبعون غموضها الى أقاصيه ، الرائي هنا يُشبه صائد البرق الذي تحدّث عنه سان جون بيرس .
فكرة الكتابة قائمة ومخيفة أيضا ، لعلّ الخوف جزء من اللذّة ، لكن ، ولأجل الحصول على لذّة كاملة الدسم ، أحاول أن أملأ جناحيّ ريشاً تستدرجه الغواية الى فكّ طلاسمها .



مقهى للطباعة والنشر
الولايات المتحدة الامريكية/ كاليفورنيا